الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم الفلسفة
تخصص: فلسفة عامة

العنوان :

اشكالية الاقتصاد في فكر مالك بن نبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:
بن سنوسي صغير

إشراف الأستاذ:
علي أرفيس

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

احمد الله حمدا طيبا مباركا فيه على ما يسره لي من إتمام هذا البحث فله الحمد على تمام وكمال نعمته

أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف أمرفيس علي على المجهودات الجبارة والمعلومات القيمة والإرشادات والنصائح التي قدمها لنا طيلة انجاز هذا البحث

كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الكرام الذين صاحبونا بالعلم والتوجيه والإرشاد طيلة مشواري الدراسي

كما أخص بالذكر الأستاذ الفاضل لصقع الربيع

والشكر الخالص لمكتبة لبيروت على المساعدة والتفاني في العمل

بن سنوسي صغير

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله واشكره على نعمة الإسلام وعلى كل نعمة أنعمها الله علينا ، اللهم إني اسالك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا ، اللهم انفعني بما علمتني به وعلمني ما ينفعني وزدني علما

فاني اهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أمي الطاهرة رحمها الله التي لطالما تمنت رؤية يارب طيب ثراها وأكرم مثواها أولادها في أعلى المراتب الراقية فاللهم ألها وديعتك ن وأحسن جزائها واجعلها في جنة الخلد مع الخالدين

كما اهديه إلى من علمني معنى الكبرياء أبي لك كل الاحترام والتقدير يا نبع العطاء مكافحا لأجلنا ومناضلا لإسعادنا حفظك الله وأطال في عمرك

كما اهديه إلى صديق دربي في الجامعة بعوني مروان رحمه الله وانار قبره وجعله من أهل الجنة

واهديه إلى إخوتي الأحباء من كبيرهم إلى صغيرهم أدامهم الله ووفقهم إلى كل ما تحبه ويرضاه

إلى كل من ساندني في هذا العمل قريب أو بعيد واخص بالذكر صديقي سليم الذي أتمنى له التوفيق والسداد

بن سنوسي صغير

مقدمة

يعتبر المشكل الاقتصادي في الوقت الراهن من أكبر التحديات التي يواجهها العالم باعتباره لا يزول إلا بزوال البشرية، وانطلاقا من حقيقة تتعلق بمحاولة الإنسان المستمرة من أجل إشباع حاجاته العديدة والمتنوعة من الطبيعة التي تتوفر على الموارد المحدودة نسبيا تتطلب من هذا الإنسان استعمال عقله وفكره من أجل تذليلها وحصوله على ما يريد.

وهذا ما يطلق عليه بالمشكلة الاقتصادية وهذه المشكلة تطورت مع تطور النظم والمجتمعات حسب الأحداث والانشغالات التي وقعت لكل منها في كل فترة زمنية، ومن هنا كان تاريخ الفكر الاقتصادي الذي اتسم في تكوينه ونموه بالتطور الدائم في الأزمنة والأمكنة المختلفة والتي ولدت فيها أفكار المفكرين والفلاسفة .

ونجد من أبرز المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بالقضية الاقتصادية المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يعتبر من اكبر المشتغلين الذين اهتموا بدراسة الحضارة كأصل عام لكل مشاكل العالم الإسلامي، ولا سيما الجانب الاقتصادي منها، إذ قدم مستويات جديدة لتحليل مشكلات التخلف والتنمية، فهي لا تقتصر على التحليل الاقتصادي البحت، وإنما تعمل على ربط عالم الاقتصاد بمشكلات الحضارة وعلى هذا الأساس فانه لا يمكن تجاهل أفكار مالك بن نبي بشأن الحضارة، واهتمام بن نبي بإعداد مشروعه الحضاري لم يكن صدفة وإنما جاء من خلال تأمله لواقع الأمة العربية الإسلامية التي تعاني من التخلف، والرجعية وهشاشة نظامها الاقتصادي، ومن هنا حاول مالك بن نبي وضع الخطوط العريضة لرسم خطة حضارية متكاملة البنى لإنقاذ الواقع الإسلامي وعليه نطرح الإشكال التالي:

كيف تفهم طبيعة تخلفنا الاقتصادي؟ وهل بالإمكان تحقيق ما يسميه مالك بن بني الإقلاع الاقتصادي؟

وهذه الإشكالية الرئيسية تنطوي عليها عدة مشكلات جزئية، ما هو مفهوم علم الاقتصاد؟

ما هو واقع الاقتصاد العالم الإسلامي ؟وماهي أهم مشكلات التخلف الاقتصادي التي تطرق إليها مالك نبي ؟

ما هي عناصر الإقلاع الاقتصادي؟ وكيف تتجلى الحركة الاقتصادية عند مالك بن بني؟

- ويحاول هذا البحث أن يلامس هذه المسألة المتداخلة وفق الخطة التالية:

فقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ويليها ثلاثة فصول والخاتمة، ويسبق كل فصل مدخل مفاهيمي مع تقديمنا خلاصة وجيزه، لكل فصل أما بالنسبة للفصل الأول الذي جاء بعنوان مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي والعربي الإسلامي يندرج تحت ثلاثة مباحث حيث تضمن المبحث الأول مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحا، وقمت في هذا المبحث بشرح مفاهيم تدور في حقل الاقتصاد، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي عند كل من (أرسطو ، آدم سميت، كارل ماركس أنموذجا) أما المبحث الثالث الموسوم بمفهوم الاقتصاد في الفكر العربي الإسلامي عند كل من (ابن خلدون ومالك بن بني انموذجا).

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي ومشكلة التخلف في فكر مالك بن بني ويندرج تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث حيث تضمن المبحث الأول واقع الاقتصاد العالم الإسلامي، أما المبحث الثاني فقد اختص بمشكلة اختيار النموذج التنموي الرأسمالي والماركسي أما المبحث الثاني ففحواه الحديث عن الجوانب النفسية للتخلف الاقتصادي المتمثلة في غياب الفعالية والميل إلى التكديس والقابلية للاستعمار، أما المبحث الثالث فقد اختص بالجوانب الاجتماعية للتخلف الاقتصادي المتمثلة في: تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية وطغيان عالم الأفكار وطغيان عالم الأشخاص.

ثم يليه الفصل الثالث الموسوم بعناصر الإقلاع الاقتصادي وأوليات الحركة الاقتصادية عند مالك بن بني والذي تناولنا فيه ثلاثة مباحث: الأول تحدثنا فيه عن عناصر الإقلاع الاقتصادي حيث تضمن توجيه المجتمع وتحقيق الديناميكا الاقتصادية، أما المبحث الثاني

بعنوان أوليات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي حيث تضمن أولية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي وأولية الإنتاج على الاستهلاك، أما المبحث الأخير فهو يتحدث عن الحركة الاقتصادية على الصعيد الخارجي ويتضمن الفكرة الإفريقية الآسيوية وفكرة كمونولث إسلامي ثم نجد في الأخير الخاتمة والتي قدمنا فيها حوصلة عن أهم النتائج التي خرجنا بها من تحليلنا لهذا البحث المتواضع، ومن بعدها نجد قائمة المصادر والمراجع .

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج المستخدم في البحوث الاقتصادية بصفة عامة بحيث اعتمدت على المنهج الوصفي، كذلك قمت بتوظيف المنهج التحليلي الذي ساعدني على عرض مشروع مالك بن بني وتبني أسسه ومعالمه ولقد اعتمدت في هذه المذكرة على عدة مصادر بن نبي وكذلك على بعض المراجع والمقالات بالإضافة للمعاجم والموسوعات والقواميس ولعل أهم المصادر التي اعتمدت عليها هي: كتاب المسلم في عالم الاقتصاد، شروط النهضة، مشكلة الأفكار العالم الإسلامي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونع، فكرة كمونولث إسلامي، وأما المراجع فقد استخدمت مالك بن بني مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي.

أما الدوافع والأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فيمكن إجمالها فيما يلي:

1-الرغبة الشخصية للبحث في الفكر الاقتصادي والوقوف عند حقائق علم الاقتصاد من حيث المفاهيم.

2-موضوع الاقتصاد عند بن بني هو موضوع قليل البحث فيه وهذا ما دفعني لتناوله ولإحياءه من جديد.

وتكمن أهمية موضوع إشكالية الاقتصاد فكر مالك بن بني في نقطتين أساسيتين:

1-لقد سعى مالك بن بني إلى إبراز مواطن الضعف و التخلف الاقتصادي للحضارة الإسلامية حيث ذكر الآليات والمبادئ العلاجية من أجل تحقيق غاية نهضوية.

2-إبراز قيمة العنصر البشري وجوانبه النفسية والفكرية في المنظومة الاقتصادية عند مالك بن بني.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث قلة الدراسات والكتب المتخصصة حول إشكالية الاقتصاد عند مالك بن بني باستثناء بعض البحوث والمقالات.

أما الصعوبة الثانية فتتمثل في المنهج الذي يعرض به أفكاره إذ يتميز بالغموض، ومع تكرار الكثير من الأفكار والفصول بإكمالها في بعض من كتبه.

الفصل الأول

مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي والعربي الإسلامي

المبحث الأول: مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي (ارسطو، آدم سميث، كارل ماركس)

المبحث الثالث: مفهوم الاقتصاد في الفكر العربي الإسلامي(ابن خلدون، مالك بن نبي)

منذ أن وجد الإنسان وهو يكافح من أجل البقاء، ونظراً لكون الهدف من وجوده هو الاستخلاف وعمارة الارض التي استخلف فيها، فإنه يسعى ويعمل لتأمين حاجاته وتحسين وضعه المعيشي والاقتصادي، فالفكر الاقتصادي لم يولد من فراغ وإنما هو محاولة لفهم الواقع وتفسيره، وذلك قبل أن يصبح علماً، حيث بدأت كأفكار بسيطة وجدت في العصور القديمة، ومع تطور الأحداث والنظم المصاحبة لها أدى ذلك إلى تطور في الفكر الاقتصادي حتى وصل إلى مرتبة العلم الاقتصادي، ولقد صاحب هذه الوقائع الاقتصادية آراء وافكار المفكرين والفلاسفة وبالتالي فما هو مفهوم علم الاقتصاد ؟ وماهي أهم الافكار الاقتصادية عبر العصور ومختلف المجتمعات ؟.

المبحث الأول: مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور أن كلمة الاقتصاد مشتقة من كلمة القَصْد،" **القَصْد : اسْتقامةُ الطَّريقِ، قَصَدَ يَقْصِدُ قصْداً، فهو قاصِدٌ وقوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾، أي على الله تبيينُ الطريقِ المستقيم، والدعاء إليه بحجج وبراهين واضحةِ " ومنها جائر" أي ومنها طريق غير قاصِدٍ. وطريقٌ قاصدٌ : سهلٌ مستقيم. وسفر قاصد : سهل قريبٌ. وقصدْت قصْدَهُ : نحوت نحوه. والقصْدُ في الشيء: خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير."**[1].

وجاء في معجم الوجيز لإبراهيم مدكور أن الاقتصاد من:" **(قَصَدَ) الطريقُ – قصْدا: استقام. وله وإليه: توجّه إليه عامداً. ويقال : قصده. و– في الأمْر: توسّط فلم يُفْرِط ولم يُفَرَّطْ . وفي النفقة: لم يسرف ولم يقتِّر. (قصَّد) القصائدُ: نظّمها، (اقْتَصَدَ) في أمره: تَوسّط يُفْرِطْ ولم يَفرطْ. ويقال : اقتصد في النفقة : لم يسْرِفْ ولم يُقْتِّر**"[2]. كذلك وردت لفظ الاقتصاد في معجم الصافي في اللغة العربية للصالح علي الصالح فالاقتصاد من " **قَصَدَ : القصد : استقامة الطريق، قصد يقصِد قصْداً. طريق قاصِدٌ : سهلٌ مستقيمٌ. سفرٌ قاصدٌ : سهل قريب. القَصْدُ: العدل، وقيل : إتيانُ الشيء. قَصَدْتُ قَصْدُه : نحوت نحوه. القَصْدُ في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير**"[3]، كذلك يوضِح الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، الاقتصاد مشتقة من" **القَصْدُ: استقامة الطريق، والاعتماد، والأمُّ، قصَدهُ، وله وإليهِ، يقْصِده، وضدُ الإفراطِ ، كاقتصاد،**

1– ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، مج 6،دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1981، ص 3642.

2– إبراهيم مدكور: المعجم الوجيز، مجمّع اللغة العربية، (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم)، مصر، د.ط، 1994، ص 503.

3– صالح علي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد : المعجم الصافي في اللغة العربية، غزة، محرم الحرام، المملكة العربية السعودية، الرياض، د.ط، ص531.

ومواصلة الشاعر عمل قصائده، كالاقتصاد، ورجل ليس بالجسم ولا بالضئيل، كالمقتصِدِ والمُقصِّدِ، كمعظّم، والكسْر بأيِّ وجه كان، وبالنصف، كالتّقصيد، وانقصدّ وتقصّد، و: العدل والتقتير"[1].كما بيّن أيضاً جميل صليبا في معجمه الفلسفي" **الاقتصاد مأخوذ من القصد، والقصد استقامة الطريق، والاقتصاد في ماله طرفان، إفراط وتفريط محمود على الاطلاق وقد يكنى به عما تردد بين المحمود والمذموم، كالواقع بين الجور والعدل. ومبدأ الاقتصاد (Principe d'économic) هو القول : إن الطبيعة لا تسلك لبلوغ غاياتها أعوص الطرق، بل تسلك أبسطها. والمقصود بأبسط الطرق تلك التي تستلزم الاقل من القوة، والمادة والجهد، والاختراع، والمبادرة** "[2]. كذلك في قوله تعالى﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾[3]، فالله جل جلاله قد أشار بقوله :والذين إذا أنفقوا وهو النوع الأول من أنواع الاقتصاد وهو الاستقامة على الطريق، فالاقتصاد في اللغة معناه القصد أي التوسط والاعتدال ومنه قوله تعالى ﴿ **مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾[4]. وكذلك قوله تعالى﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ** ﴾[5]، وسفرا قاصدا، أي سفر سهلا غير شاق.

ونلاحظ من خلال الآيات الكريمة أن كلمة الاقتصاد مشتقة من أصل اللغة العربية على اعتبار أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي، فكلمة الاقتصاد إذن ليست بمترجمة من لغات أخرى مثلما هو كائن في العديد من العلوم كذلك قبل مجيء الاسلام كان هناك نوع من الاقتصاد، ويظهر ذلك في حركة التجارة التي كانت سائدة في تلك الحقبة، وهذا دليل على أن العرب والمسلمين قد أدركوا أهمية علم الاقتصاد وأهمية الفكر

1- فيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت(لبنان)، ط 8، 2005، ص 310.

2- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت(لبنان)، دط، 1982، ص 109.

3- سورة الفرقان، الآية 67.

4- سورة المائدة، الآية 66.

5- سورة التوبة، الآية 42.

الاقتصادي، كذلك نلاحظ تعدد الإطلاقات اللغوية في تعريف كلمة الاقتصاد التي كانت بين الإسراف والتقتير والاستقامة على الطريق، فنلاحظ هنا أن التعريفات جميعها متقاربة أيضا من خلال الآيات الكريمة وقد حدد مدلول لفظ الاقتصاد والتي تجمع بين التوسط والاعتدال وعدم الاسراف.

المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد اصطلاحاً:

جاء في المعجم الوجيز لإبراهيم مدكور التعريف الاصطلاحي للاقتصاد إذ يرى أن" **(الاقتصاد): علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك ويكشف عن قوانين التي تخضع لها**"[1] . فعلم الاقتصاد يدرس الظواهر المرتبطة بطرق الانتاج والتوزيع والاستهلاك، كذلك يهدف علم الاقتصاد إلى اكتشاف القوانين التي تساعد في التفسير والتنبؤ والتحكم في الظواهر المرتبطة بهذا العلم، ايضا يعرف اندريه لالاند الاقتصاد في موسوعته الفلسفية " **علم قوانين الانتاج والتوزيع والاستهلاك للثروات**"[2]. كما يدرس علم الاقتصاد" **القوانين الاجتماعية المتعلقة بدراسة انتاج والتوزيع الوسائل المادية(المال) لإشباع الحاجيات الانسانية**"[3]. أي أن علم الاقتصاد هو العلم الذي يعنى بدراسة القوانين الاجتماعية التي تحكم الانتاج، " **أيضا ويهدف علم الاقتصاد إلى دراسة الظواهر الاقتصادية لمحاولة تفسير سلوك الوحدات الاقتصادية(الأفراد، الأسر، المؤسسات، الحكومات) بطريقة منهجية، من خلال مجموعة من النظريات والقواعد والأدوات التحليلية، فإدارة اقتصاد أية دولة يجب أن تتم وفق منهج علمي وقوانين تضبط هذه العملية وبقدر دقة هذه القوانين وحساسيتها يمكن ضبط المعاملات**

1- ابراهيم مدكور، مرجع سابق، ص 503.

2- اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، مج 1،منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص318.

3- جاسم سلطان: خطوتك الأولى نحو فهم الاقتصاد ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، (دب)، ط2، 2010، ص 09.

الاقتصادية وهذا أقصى ما يتمناه أي علم من العلوم، أن يوفر قوانين للتحكم في الظاهرة التي يدرسها"[1].

كذلك ورد تعريف الاقتصاد في الاصطلاح الشرعي عند الفقهاء، إذ عرفه المعز بن عبد السلام ((**رتبة بين رتبتين ومنزلة بين المنزلتين، الأولى هي التفريط (التقصير) والثانية هي الإفراط (الإسراف) ، والمنازل ثلاثة : التقصير في جلب المصالح والإسراف في جلبها والاقتصاد بينهما، ثم قال: والاقتصاد أمثلة في استعمال المياه الطاهرة، فلا نستعمل من الماء إلا قدر الإسباغ ولا ينقص عن الحد في الوضوء وفي الغسل))**[2] . ((**وعرفت كلمة الاقتصاد في العهد الإغريقي وكانت تلفظ في تلك اللغة بـ : oikohomosويعني تدبير شؤون البيت وقد انتقلت هذه الكلمة إلى الأمم الأخرى وتداولتها بلفظ : oekonomieولم يقتصر المعنى الإغريقي على أمور البيت بل تعداه ليشمل تدبير الشؤون المالية للدولة بشكل عام))**[3]. فكلمة الاقتصاد لها امتداداها التاريخي ولم تقتصر على القرون الأخيرة، لكن يبقى الإطار العام للمصطلح هو تدبير شؤون المالية وتسييرها في جميع المراحل والمفاهيم .

1- جاسم سلطان، مرجع سابق، ص 15.

2- المعز بن عبد السلام: قواعد الاحكام في مصالح الانام، تحقيق طه عبد الرؤوف، ج2، دار الجيل، بيروت(لبنان)، ط2، 1980، ص 205.

3- طارق الحاج، علم الاقتصاد ونظرياته، دار الصفاء، الاردن، (د ط)، 1998، ص 13.

المبحث الثاني: مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي(أرسطو، آدم سميث، كارل ماركس)

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد عند أرسطو

لقد ضمن أرسطو* آرائه الاقتصادية في كتابه السياسات الذي وقف فيه وقفات تحليلية أمام بعض المشكلات والظواهر الاقتصادية ((**ولذلك يعتبر أول القدماء الذين وضعوا ما يمكن تسميته " ببذور نظرية اقتصادية" تقوم على تحليل الظواهر والمشكلات، فهو قد دفع علم الاقتصاد دفعة قوية ولأول مرة في التاريخ الإنساني، ليصبح علما متميزا على العلوم الفلسفية والمنطقية التي كانت سائدة حين ذاك**))[1].

ومن هنا يمكن تلخيص أفكار أرسطو الاقتصادية فيما يلي: ((**وأول آرائه الاقتصادية هي إقراره لحق الملكية الفردية عموما منددا على أفلاطون رفضه الملكية الخاصة على الحكام الفلاسفة خشية انفصام عرى وحدتهم وولائهم للدولة وهكذا يعتبر أرسطو أول من أرسى دعائم الرأسمالية بإقراره حق الملكية الفردية الذي هو أول دعائم بل أول خصائص الرأسمالية**))[2].

فإلغاء الملكية الخاصة الذي نادى به أفلاطون كان مقصوراً فقط على طبقة الحكام والمحاربين دون طبقة الصناع والعمال التي تتمتع بحق تملك الأرض والأموال كذلك فإن أفلاطون حينما منع الملكية الفردية على طبقة الحكام لم يصدر هذا الحكم عن اعتقاد في مساوئ الملكية الخاصة وإنما كان هدفه إبعاد طبقة الفلاسفة والتي تمثل أعلى درجات العلم والتي مهمتها هي الحكم ويجب عليها الابتعاد عن مغريات المادة. ((**وقد استخدم ارسطو في دفاعه عن الملكية الخاصة ثلاث مسوغات: الأول ما تولده الملكية الخاصة**

---

*- **أرسطو**: ولد أرسطو في اسطاغيرا (وتعرف اليوم باسم ستافرو) وهي مدينة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية سنة 384 ق.م ، وتوفي في خلقيس سنة 322 ق.م، ويمكن القول أن أرسطو كان أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، (أنظر : جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 52).

1- صلاح الدين نامق: قادة الفكر الاقتصادي، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص12-13.

2- المرجع نفسه، ص 13.

من بهجة في النفوس، فالناس بطبعهم مغرمون بحيازة الثروة وتملك العقار لأن ذلك يولد في النفس بهجة وجبوراً يساعدان على مواجهة أعباء الحياة وتوفير السعادة البشرية. والدافع الثاني أن الملكية الخاصة تؤدي إلى الإرتقاء والنهوض بالنفس البشرية طالما أن هذا الامتلاك لا يؤدي إلى الإضرار بالآخرين التي يعتبرها أرسطو أسمى ما تتطلبه النفس البشرية من أهداف))[1].

كذلك ((**إقراره للملكية الفردية لافتقار الملكية العامة إلى الحافز المادي ويرى أن المشاكل التي يعاني منها المجتمع لا ترجع إلى الملكية الفردية كملكية وإنما للطريقة التي تمارس فيها))**[2].

وهنا أرسطو قد أدرك مساوئ نظام الملكية الخاصة إلا أنه قدّم لنا رؤية والمتمثلة في أن المشاكل والثروات التي تكتنف الملكية الخاصة هي راجعة إلى الطريقة التي تمارس بها ولقد ناقش موضوع النقود ودرس وظائفها ومزاياها على اعتبار أن الحياة الاقتصادية قوامها النقود أو رأس المال ((**والأساس الذي تستمد منه قبولها بين الناس بالأسلوب الذي يسير عليه نفسه الاقتصاديون المعاصرون عندما يناقشون النقود وما حولها ، كذلك ذكر أرسطو – هو بصدد دراسة وظائف النقود–أن النقود هي الوسيلة الطبيعية للتبادل فضلاً عن أنها مخزن للقيمة))**[3].

كذلك تطرق في كتابه السياسات في أبواب الرزق الطبيعي والغير طبيعي إلى مسألة فن الاقتناء الذي ينطوي على فرعين أحدهما طبيعي وهو من ضمن فن الاقتصاد والآخر مغاير للطبيعة وهو فن التجارة الذي دعاه فن الكسب وحشد المال، وهنا يقول أرسطو((**ومن ثم يبدو بجلاء أن البيع والشراء ليس بالطبع من " الاقتناء الطبيعي" إذ**

1– صلاح الدين نامق: قادة الفكر الاقتصادي، مرجع سابق، 13.

2– سعيد سعد مرطان: مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط2، 2004، ص20.

3– صلاح الدين نامق: قادة الفكر الاقتصادي، مرجع سابق، ص 14.

غدت المبادلة ضرورية بمقدار حاجة الناس إليها. ففي المجتمع الأول، وهو المجتمع البيتي لم تدع الحاجة إلى شيء من ذلك، وهذا أمر واضح ولكنه أخذ في الحدوث عندما اتسع المجتمع لأن أهل البيت الواحد كانوا يشتركون في كل خيراته، كلما كثروا واعتزل البعض الآخر، وكثرت خيراتهم وتغايرت، كان من الضرورة توزيعها طبقاً لحاجات كل فريق، كما تفعل حتى الآن شعوب كثيرة أعجمية، على طريقة المقايضة : فيبدلون النوافع بما هو من نوعها، لا أكثر (ولا أقل)، فيقدمون الخمر مثلا ويأخذون عوضه حنطة، وهكذا في كل من الأشياء الأخرى))[1].

لقد قمت في البداية بالإشارة إلى مسألة فن الاقتناء حيث تعرض له أرسطو بالشرح وكان تحليله مشوقاً، كذلك تطرق إلى كيفية ظهور المقايضة ففي البداية كان المجتمع البيتي، فلم تدع الحاجة إلى ذلك لكن حينما اتسع المجتمع لجأوا إليه كخطوة أولى من أجل سد حاجاتهم المتعددة فالأسرة الواحدة لا يمكن لها أن توفر جميع متطلباتهم فبالمقايضة يمكن لها أن تتجاوز هذه المشكلة ، فكانوا يقدمون الخمر مثلا ويأخذون عوضه حنطة وهنا يقول أرسطو **((فمثل هذه المبادلة لا تناقض الطبيعة– وماهي ضرب من جمع المال– إذ كانت ترمي إليه تمام الاكتفاء الذاتي الطبيعي ولكن عن هذه المبادلة نشأت تلك المبادلة الذميمة بالمقايضة فلما حصل الامداد الأجنبي باستيراد ما يفتقرون إليه، وتصدير ما يغزر عندهم، ابتكرت الضرورة استعمال النقد، لأن ضروريات المعاش ليست كلها سهلة النقل))**[2].

أما فيما يتعلق بتحديد قيمة التبادل فقد كانت نظرية أرسطو تقويمية وأخلاقية أكثر منها تحليلية وعلمية لأنها اقتصرت على الاهتمام بتحديد فكرة الثمن العادل، ولما ظهر ما

1– أرسطو: السياسات، تر: الأب أوغسطين بربارة البوليسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، (دط)، 1957، ص 26–27.

2– المرجع نفسه ، ص 27.

يعرف برأس المال نتيجة ادخاره ظهر فن جديد، وهنا يقول أرسطو ((**ولماّ عمد إلى النقود، إذ اضطرت إليها المبادلة نشأ نوع آخر من ادخار المال، وهو فن التجارة، ولقد برز بسيطا في بدء نشأته، وتذرع بعد ذلك بشتى الحيل، بسبب الخبرة المكتسبة، متكيفا بصورة مختلفة لاغتنام أكبر المرابح من مكامنها**))[1]. لذا يبدو أن التجارة هي عبارة عن جمع المال ولقد ظهر في السابق في صورة بسيطة لكن بعد ذلك ارتكز على شتى الحيل من أجل تحصيل الثروة. ولقد تطرق أرسطو إلى موضوع الربا فانتقده أشد الانتقاد طالما أن النقود لا تلد نقود كما يقول ((**أبغضو الربا بكل صواب، ولقد ابغضوه لأن ربحه من النقد نفسه، لا ممّا جعل له النقد؛ إذ جعلت النقود للمبادلة ،وأما الربا فهو ينمي النقد نفسه؛ ومن هذا الامر نال اسمه لأن المواليد شبيهة بوالديها وما الربا إلا نقد النقد ومن ثم، فهو بين اصناف الغنى ما ينافي الطبيعة أعظم منافاة**)) [2]. فأرسطو قد اهتم بالنقود ويرى أن وظيفتها الأساسية هي تسهيل التبادل أما دفع الفائدة مقابل استخدامها فيعني توالدها وهو هنا نلاحظ بأنه يقترب من الاقتصاد الإسلامي من حيث مناهضته لمبدأ الربا وإقراض النقود بفائدة.

المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد عند آدم سميث

آدم سميث* وثروة الأمم هذا الاسم البالغ الاهمية والذي له شهرة كبيرة وأفق واسع يعد بفضل هذا الكتاب أبو الاقتصاد الحديث وأول كتاب منظم في علم الاقتصاد الوضعي وفيه ورد تعريف علم الاقتصاد بأنه ((**ذلك العلم الذي يبحث في قوانين الجماعة وكيفية**

1-أرسطو: السياسات، مرجع سابق، ص 27.

2- المرجع نفسه، ص ص 31-32.

*- **أدم سميث:** ولد سميث سنة 1723م وهو اسكتلندي، تعلم في جامعات كلاسجو و أكسفورد، ثم باشر مهنة التدريس، فأصبح أستاذ المنطق، ثم الفلسفة الأخلاقية، في جامعة كلاسجو، وقد أمضى سنتين في فرنسا، ثم حصل على منحة مكنته من الكتابة والتأليف، توفي سنة 1790م، (أنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص 54).

الحصول على الثروة))[1]. فعلم الاقتصاد من هذا المنطلق يدرس الكيفية التي تمكن الأمة من أن تعتني .

ومن أهم ما جاء في كتابه والذي يعتبر بحق نقطة الانطلاق في الفكر الاقتصادي الحديث.

1-نظرية العمل عند آدم سميث:

لقد وجد آدم سميث أن المصدر الأول للثروة هو العمل المنتج الذي يزود الأمة بحاجياتها، فاعتبر العمل الإنساني مصدر الثروة دون غيره من عناصر الانتاج الأخرى، وفي ذلك يقول: ((**إن العمل السنوي لكل أمة هو رأس المال (الرصيد) الذي يمده أصلا بما تستهلكه هذه الأمة سنوياً من ضروريات الحياة وكمالياتها ، والتي تتكون دائما إما من الناتج المباشر لهذا العمل، أو مما يشترى بهذا الناتج المباشر لهذا العامل، أو مما يشترى بهذا الناتج من أمم أخرى))**[2]. فبدون العمل تبقى كل قوى الطبيعة ومواردها على هيئتها ولا يتحقق منها أي نفع، فبالعمل يتمكن الفرد من استعمالها لتلبية رغباته وحاجاته. وفي ذلك يقول:((**يبدو أن أعظم تطور لقوى العمل الإنتاجية، والقسط الأكبر من البراعة والمهارة، وسداد الرأي الذي تسير على هديه، أو تسخر في أي مكان، قد تأتي من تقسيم العمل))**[3].

ويستخدم آدم سميث مثله المشهور (صنعة الدبابيس) ((**فالعامل غير المدرب على هذه الصنعة وعلى استعمال الآلات المستخدمة فيها والتي أدى تقسيم العمل إلى اختراعها، قد لا يستطيع العامل وإن بذل أقصى جهده أن يصنع أكثر من دبوس واحد في اليوم، ومن المؤكد أنه لن يتمكن من صنع عشرين ، ولكننا إذا ما نظرنا في**

1- طارق الحاج: علم الاقتصاد ونظرياته، مرجع سابق، ص 13.

2- آدم سميث: بحث في أسباب وطبيعة ثروة الامم ، تر: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط10، 2007، ص05.

3- المرجع نفسه، ص 11.

الطريقة التي تزاول بها هذه المصلحة اليوم، وجدنا أن العمل فيها ليس مجرد صنعة محددة فحسب، بل إنه مقسم إلى عدد من الفروع التي يشكل معظمها ايضا صنائع محددة يشد رجل السلك ويقومه رجل ثان، ويقطعه ثالث ويدنيه رابع، ويشحذه خامس، ويعده لتلقي الرأس))[1]. وهنا يظهر لنا أن صناعة الدبوس تنقسم إلى عدة عمليات وهي يشترك في انجازها الكثير من الأيادي ، فتقسيم العمل يؤدي إلى مضاعفة كبيرة في الإنتاج يقول آدم سميث ((**وهذه الزيادة في كمية الشغل التي يمكن للعدد نفسه من الناس أن يقوم بها جرّاء تقسيم العمل إنما تعزى إلى ثلاثة ظروف مختلفة؛ أولا زيادة المهارة لدى كل عامل مخصوص، ثانيا، الاقتصاد في الوقت الذي يهدر، وأخيرا اختراع عدد كبير من الآلات التي تسهل العمل وتختزله، وتمكن رجلا واحدا من القيام بعمل عدد رجال))**[2].

ويرى آدم سميث أن توفير كل فرد لنوع معين من السلع التي تخصص في إنتاجها بأقصى جهده لتوفير الفائض ليس بدافع حسن النية أو طيبة القلب بل هي النزعة الطبيعية والمصلحة الذاتية للفرد بقوله : ((**نحن لا ننتظر غدائنا أو عشاءنا من طيب خاطر القصاب، وصانع الجعة، أو الخباز، بل من اهتمامهم بمصالحهم الخاصة، ونحن عندما نتوجه إلى الآخرين لا نخاطب انسانيتهم بل أناسيتهم، ولا نتكلم إليهم عن احتياجاتنا الخاصة بل عن منافعهم، ولا يختار الاعتماد بصورة اساسية على اريحية مواطنيه إلا المتسول))**[3].

ويتضح أن الأساس النظري لفكر آدم سميث هو دور المصلحة الخاصة والدافع الشخصي، لكن لم يهمل المصلحة العامة، فكثيراً ما شوّهت أفكاره في هذا الصدد كما لو

1- آدم سميث، بحث في اسباب وطبيعة ثروة الامم، مرجع سابق، ص 12.

2- المرجع نفسه، ص16.

3- المرجع نفسه، ص 13.

أنه داعياً للأنانية والحقيقة غير ذلك تماماً ((**فقد كان يرى أن الدافع الشخصي هو مجرد وسيلة أو أداة، والصالح العام هو دائماً الغاية والهدف**))[1]. فالاقتصاد عند آدم سميث يتميز بالشمولية وأعني بها تلك المنافع والخيرات الموجهة للصالح العام دون إهمال المصالح الفردية في ذلك.

2- القيمة عند آدم سميث:

يرى آدم سميث أن العمل هو الذي يحدد قيمة سلعة ما في سوق لقوله:((**إن قيمة أي سلعة عند الشخص الذي يمتلكها، والذي لا ينوي أن يبيعها أو أن يستهلكها بنفسه، بل إنه يبادلهما بغيرها من السلع، إنما تساوي كمية العمل الذي تخوله ابتياعها أو استحقاقها فالعمل إذا هو مقياس القيمة التبادلية الحقيقي للسلع كلها**))[2].

ولقد ميّز آدم سميث بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية وأشار إلى أن كلمة القيمة إنما تعني مفهومين مختلفين يعبر أحدهما عن المنفعة ويعبر الآخر عن القوة الشرائية التي تمتلكها السلعة، وذلك في قوله:((**لابد من الإشارة أولاً إلى أن كلمة قيمة دلالتين، فهي تعرب أحياناً عن منفعة شيء معين، وأحياناً تدل على القدرة على شراء سلع أخرى تمكننا منها حيازة هذا الشيء فالأولى قد تسمى " قيمة استعمالية" والأخرى،" قيمة تبادلية"، فالأشياء ذات القيمة الاستعمالية الكبرى غالباً ما تكون لها قيمة تبادلية قليلة أو معدومة، وبالعكس، فالأشياء ذات القيمة التبادلية الكبرى غالبا ما تكون قيمتها الاستعمالية قليلة أو معدومة**))[3]. وللتوضيح والإبانة يقول آدم سميث ((**لاشيء أنفع من الماء ولكنه لا يكاد يشتري به شيء، ولا يكاد يبادل به شيء ، وعلى**

1- حازم الببلاوي، دليل الرجل العادي الى تاريخ الفكر الاقتصادي، دار الشروق، القاهرة(مصر)، ط1، 1995م، ص 56.

2- آدم سميث، بحث في اسباب وطبيعة ثروة الامم، مرجع سابق، ص 45.

3- المرجع نفسه، ص 43.

العكس فالجوهرة لا تكاد تكون لها اية قيمة في الاستعمال، ولكن يمكن في كثير من الاحيان لكمية كبيرة من السلع الأخرى أن تبادل بها))[1]. ومن خلال تعريفه للقيمة التبادلية والقيمة الاستعمالية، يرى أن الأولى قيمة موضوعية تتحدد من خلال عملية التبادل في السوق، والثانية هي قيمة ذاتية خاضعة لرغبة المستهلك.

3- الحرية الاقتصادية:

يعد آدم سميث من أكبر المهتمين بمسألة الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في السير العادي للحياة الاقتصادية ولقد أخذت هذه المسألة حيزا كبيراً من اهتمامه فمبدأ الحرية الاقتصادية محور هام في الفكر الرأسمالي حيث رفعوا شعار "دعه يعمل دعه يمر" وكأن هناك يد خفية تقود الفرد إلى تحقيق رفاهية المجتمع ، ففي سوق تسوده المنافسة الحرة يعتبر سعي الفرد لإنماء مصالحه الخاصة إنماء لمصالح المجتمع بصورة فعالة دون قصد، كما لو أن يدا خفية (يقصد نظام الاسعار تقود الفرد إلى تحقيق غاية ليست جزء من هدفه الرئيسي فآدم سميث يرى أن هدف الفرد هو العمل لتحسين وضعه وتحقيق مصالحه الفردية بما يرفع مستواه الاقتصادي، وهو حين يسعى لذلك لا يفوت بالضرورة مصلحة غيره أو يتعدى عليها وتلك صفة مشتركة بين كل الأفراد وعليه يسعون في شكل منسجم لتحقيق المصلحة العامة دون شعور منهم وذلك من خلال ما يعرف باليد الخفية.

كذلك تطرق آدم سميث إلى أهم العوامل لتحقيق الحرية الاقتصادية نذكر تقسيم العمل حيث اعتبر العمل الإنساني هو المصدر الوحيد للثروة دون غيره من عناصر الإنتاج، قرّر ذلك في بداية كتابه" ثروة الأمم" فكلما زادت انتاجية العمل زادت الثروة، وزيادة انتاجية العمل ناجمة من مبدأ تقسيم العمل **((على أن أهم ما أورده سميث من**

1- آدم سميث، بحث في اسباب وطبيعة ثروة الامم، مرجع سابق، ص 43.

شروط وأسباب للتقدم هو ضرورة توفير الشروط المناسبة للنشاط الاقتصادي والاعتماد على أهمية الباعث الشخصي، مع وجود الضوابط الاجتماعية لكي تعمل السوق في إطار من القانون وغيرها من مؤسسات العمل الاجتماعي))[1]، فمن أسباب التقدم حسب ما أورده سميث أن التركيز على دور الباعث الشخصي مع حضور الضابط الاجتماعي هي الكفيلة بتسيير النشاط الاقتصادي بامتياز، فهذا المبدأ "تقسيم العمل" لا يكون فعالاً في ظل تدخل الدولة بل إن الحرية الاقتصادية هي الدافع والحافز، ويرى سميث أن الأداة الحكومية غير ملائمة تماما للقيام بأي عمل اقتصادي ((**فقد أطلق على مرحلة آدم سميث " مرحلة الرأسمالية المتفائلة" وهي الفترة التي كان التبشير فيها بأن السوق يستطيع أن ينظم نفسه بنفسه وعلى الدولة أن ترفع يدها عن الاقتصاد))**[2]،حيث قصر على الدولة ثلاث واجبات فقط تقوم بها وهي ((**النهوض بأعباء الدفاع وتعهد الأشغال العامة الضرورية))**[3].

وكذلك ذكر أن النشاط الاقتصادي يحتاج للحرص والمتابعة والعناية وطبيعة الدولة تمتاز بالإسراف والإهمال في الإدارة، وعليه اعتبر أن صفة الحاكم والتاجر متنافرتان ولا يمكن الجمع بينهما، لكن إطلاق العنان لهذا المبدأ نجم عنه ممارسات كثيرة مضرة بالمصلحة العامة مثل ظهور الاحتكارات وارتفاع الأسعار وهوامش الربح وزيادة البطالة، وانخفاض الأجور الحقيقية للعمال وتراجع مستوى المعيشة، مما يؤدي إلى فروق شاسعة في توزيع الثروة.

فآدم سميث تراجع أحيانا عن سياسة عدم التدخل أو سياسة الحرية الاقتصادية ويدعو الدولة إلى التدخل والعمل على تقليص هذه الحرية والحد منها، حيث ((**تؤكد**

1- حازم الببلاوي، دليل الرجل العادي الى تاريخ الفكر الاقتصادي، مرجع سابق، ص 63.

2- جاسم سلطان، خطوتك الاولى نحوى فهم علم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 51.

3- جون كينيث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، تر: أحمد فؤاد بلبع، تحقيق اسماعيل صبري عبد الله، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، ص 85.

أقواله الشهيرة عن حق بشأن الضرائب أن الضرائب ينبغي أن تكون يقينية ومناسبة وغير مرهقة في تقديرها وتحصيلها))[1]. فالضرائب هي شكل من أشكال الحد من حرية الأفراد الذين بالغوا في احتكار السلع وزيادة الأثمان، كذلك نجد تدخل الدولة في حماية بعض الصناعات الناشئة التي تبشر بنجاحها في المستقبل.

المطلب الثالث: كارل ماركس*

لقد أدى تطبيق النظام الرأسمالي لفترة تجاوزت نصف قرن من الزمن إلى حدوث خلل في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية وظهور احتكارات كبيرة وانخفاض الاجور الحقيقية للعمال مما أدى إلى ظهور أصوات منادية بتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي والخروج من سيادة مبدا الحرية الاقتصادية للتخفيف من حدة الظلم الاجتماعي السائد، فظهر المذهب الاشتراكي كرد فعل على تلك الاختلالات ونادى بإحلال الملكية العامة مكان الملكية الخاصة وتقييد الحرية الاقتصادية المطلقة في المذهب الرأسمالي **((ويمكن تعريف الاشتراكية بأنها ذلك النظام الذي تمتلك فيه الدولة جميع عناصر الانتاج كالأرض والمصانع والإنتاج وتتخذ القرارات الاقتصادية من خلال جهاز التخطيط بدلاً من جهاز الأثمان في النظام الرأسمالي، وقد تحقق التطبيق الفعلي للاشتراكية في القرن العشرين عندما قامت الثورة البلشفية في روسيا عام 1917. لتطبيق اشتراكية كارل ماركس))**[2].

1- جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، مرجع سابق، ص85.

*- **كارل ماكس:** ولد كارل ماركس في سنة 1818م، في مدينة ترير trier البروسية لعائلة برجوازية يهودي، وكان أبوه هنريش محامياً معروفاً، ولم يكن ماركس متديناً، بل كان ملحداً شديد الاهتزاء بالأديان، وخاصة اليهودية، أنظم الى جماعة الشباب الهيجلي اليسارية، وبدأ حياته العملية بالعمل في الصحافة، ثم انتقل الى باريس وتعرف على عدد من الاشتراكين الفرنسيين، كما تعرف على صديق عمره "فريديريك انجلز"، ومن أهم مؤلفاته: رأس المال، توفي سنة 1894م، (أنظر: حازم الببلاوي، المرجع السابق، ص 89).

2- سعيد سعد مرطان، مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، مرجع سابق، ص ص31-32.

ولقد تأثر كارل ماركس بنظريات عدة انعكست على أفكاره وتوجهاته في تنظيم النشاط الاقتصادي ومن بينها النظرية المادية الجدلية (الديالكتيكية لهيجل، ونظرية التفسير المادي للتاريخ حيث يرى أن ((**الاشتراكية إنما هي الطور الأول من التكوين الاجتماعي الاقتصادي الذي ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان رغم بقاء التمايز بين الطبقات، وهو طور من خلاله يتم توفير شروط الانتقال إلى مجتمع لا طبقي متجانس اجتماعياً أو الطور الاعلى من الشيوعية**))[1].

وعليه يرى ماركس أن البشرية في تطورها مرّت بالمراحل التالية:((**الشيوعية البدائية، العصور القديمة" العبودية"، عصر الاقطاع، الرأسمالية، الاشتراكية والشيوعية**))[2]. وفي مرحلة الشيوعية تنتهي كل أشكال الطبقية، وتقوم فلسفة ماركس الاقتصادية على اعتبار أن هيمنة الفرد وملكيته لوسائل الانتاج سيؤدي حتما إلى استغلال الطبقة العاملة، مما يؤدي إلى اتحادهم حتى يتسنى لهم القضاء على مؤسسات النظام الرأسمالي ليحل محله النظام الاشتراكي ((**ولقد ضمنت هذه الأفكار في البيان الشيوعي الذي اصدره ماركس وانجلز عام 1848، ويعتبر أهم ما توصل إليه ماركس في نظريته هو حتمية فناء النظام الرأسمالي لتحل محله الاشتراكية وذلك طبقا لقوانين التطور التاريخي**))[3].

انطلاقا من المعالم الرئيسية للمرحلة الاشتراكية من خلال النظرة الماركسية التي تعتمد على ضرورة توفر أركان أساسية في المجتمع والتي تتمثل في محو الطبقية تماما واستلام البروليتاريا طبقة العمال حقوقهم الاجتماعية والسياسية وضرورة تأميم مصادر الثروة واعتبارها ملكية للجميع واعتماد العدالة في التوزيع، بنى كارل ماركس نظرياته

1- أوسكار لانكه، مايكل كلتيسكي: الاقتصاد السياسي، تر: محمد سلمان حسن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980م، ص ص79، 80.

2- سعيد سعد مرطان: مدخل للفكر لاقتصادي في الاسلام: مرجع سابق، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 32.

الاقتصادية ويعرف علم الاقتصاد ((**بأنه دراسة قانون حركة النظام الاجتماعي**))[1]. فالاقتصاد عند كارل ماركس يربطه بالنظام الاجتماعي من منطلق أنه يدافع عن حقوق العمال المحرومين ويرى ماركس بأن النظام الرأسمالي وارتباطه بمبدأ الحرية الاقتصادية والملكية الخاصة ينقسم إلى طبقتين أساسيتين وفي ذلك يقول مع انجلز ((**أما المجتمع البرجوازي الحديث الذي ولد من أحشاء المجتمع الإقطاعي فإنه لم يقض على التناقضات بين الطبقات بل اقام طبقات جديدة وظروفا جديدة للاضطهاد وأشكالا جديدة لنضال بدلا من القديمة، إلا أن الذي يميز عصرنا الحالي، عصر البرجوازية هو أنه جعل التناقضات الطبقية أكثر بساطة فإن المجتمع آخذ في الانقسام أكثر فأكثر إلى معسكرين فسيحين متعاديين، إلى طبقتين كبيرتين متعارضتين هما البرجوازية*والبروليتاريا****))[2]. أي طبقة الرأسمالية والتي تمتلك وسائل الانتاج والتي تستحوذ على عائد هذا الانتاج وهو "الربح" وطبقة العمال التي لا تمتلك وسائل الإنتاج وتضطر إلى بيع قوة عملها إلى الرأسماليين، والخضوع للشروط التي تفرض عليهم من اجر وظروف العمل وساعاته ((**فالرأسمالي يشري إذن كما يبدو عمل العمال بالمال ولقاء المال يبيعونه عملهم**))[3].

كذلك تطرق ماركس إلى نظرية القيمة حيث ((**تحدد قيمة أي سلعة بمقدار ما يبذل فيها من ساعات عمل أي أن العمل هو مصدر القيمة، ويعتقد ماركس بأن ما**

1- ابراهيم كبّة: دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج01، مطبعة الارشاد، بغداد، ط1، 1970، ص 299.

*- **البرجوازية (Bourgeoisie)**: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية بين الأشراف والزراع، ثم صارت في القرن التاسع عشر مالكة لوسائل الانتاج،(أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، المرجع سابق، ص 205.)

**- يطلق لفظ طبقة الكادحة (Proletariat)، على الأفراد العاملين الذين يكسبون رزقهم بعرق جبينهم.(أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، مرجع سابق، ص12).

2- ماركس وانجلز : بيان الحزب الشيوعي، تر: إلياس شهين، دار التقدم، موسكو(روسيا)، (دط)، (دت)، ص19.

3- كارل ماركس: العمل المأجور ورأس المال، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو(روسيا)، (دط)، 1991، ص23.

يدفع للعامل من أجر الذي تحدده قوى العرض والطلب، يقل كثيرا عن قيمة السلعة التي ينتجها، وذلك لأن الرأسمالي يشغل العامل ساعات أكثر من عدد الساعات التي دفع أجرها، أما الفرق بين القيمتين رأى الفرق بين قيمة السلعة التي ينتجها العامل ومقدار الأجر الذي يحصل عليه في المقابل، أو ما يطلق عليه فائض القيمة فيذهب إلى جيب الرأسمالي، وهذا هو عين الاستغلال))[1]. فالاقتصاد الماركسي مؤسسة على فلسفة العمل فقد اعتبر ماركس أن العمل هو مصدر القيمة، وهو في وقت نفسه يبرز مساوئ النظام الرأسمالي والمتمثلة في الاستغلال.

1- سعيد سعد مرطان: مدخل للفكر الاقتصادي في الاسلام مرجع سابق، ص 33.

المبحث الثالث: مفهوم الاقتصاد في الفكر العربي الإسلامي (ابن خلدون، مالك بن نبي)

المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد عند ابن خلدون.

يعتبر ابن خلدون* مؤسس علم الاجتماع، وما ورد منه من أفكار اقتصادية إنما ورد بالقدر اللازم لدراسة الحادثة التاريخية أو الظاهرة الاجتماعية.

ويظهر الجانب الاقتصادي في مقدمته من خلال مناقشة لمجموعة من المسائل المرتبطة بالكسب والمعاش حيث يقول ابن خلدون:((**اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل فلابد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجهه**))[1]. فالكسب عند ابن خلدون هي قيمة الاعمال البشرية أي تحصيل الحاجات بالسعي أو بالعمل ، فإذا كانت للكسب منفعة الانسان سمي رزقاً ، لكن إذا كان أساس الكسب هو العمل فقد يتحقق الكسب دون عمل، فابن خلدون تنبه إلى أن بعض الأموال تزيد في قيمتها لأسباب لا ترجع إلى عمل حائزها حيث يقول: ((**أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي**))[2]. ويقول ايضاً ((**اعلم أن كثيراً من ضعفاء العقول يبتغون الكسب في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض يبتغون الكسب من ذلك...إنما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة، والفلح، والصناعة، فيطلبونه بالوجه المنحرفة وعلى غير الوجه**

---

*- **ابن خلدون:** هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، ولد في تونس في 27 آيار 1332م، في أسرة متطلعة بالثقافة الاسلامية، وتلقى دروسه في شتى العلوم الاسلامية في تونس، ثم في مدرسة غرناطة، ولما عاد الى مسقطه رأسه عمل في بلاط السلاطين الحفصيين، حيث حرر المقدمة كمدخل لكتابه الكبير في تراريخ أيام العرب والعجم والبربر، وكانت وفاته في القاهرة، في 19 أذار 1406م، فدفن جثمانه في مقبرة الصوفيين،(جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص ص 21، 22).

1- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، ط1، 2005، ص246.

2- المرجع نفسه، ص 243.

الطبيعي من هذا وأمثاله))[1]. وهذا الإشكال من الكسب لا يعتبرها ابن خلدون نوع من الرزق أو المعاش الطبيعي ولا تمد بأي صلة له: ذلك على اعتبار أن الطرق المستعملة في استخراجها مشبوهة فالمعاش عند ابن خلدون هو ابتغاء الرزق ويكون بطرق عديدة إذ يقول في هذا الصدد((**المعاش إمارة وتجارة، وفلاحة وصناعة، فأما الإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش..وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش. أما الفلاحة فهي متقدّمة عليها كلها بالذات، إذ هي بسيطة وطبيعية وفطرية لا تحتاج إلى نظر ولا إلى علم، ولهذا تُنْسَبُ في الخليقة إلى آدم، أبي البشر، وأنه معلِّمها والقائم عليها إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة))**[2].

يرى ابن خلدون أن الوجوه الطبيعية للمعاش متعددة ويرى أن الزراعة سابقة لكل عمل، فالزراعة ظهرت مع ظهور الانسان، حيث ينسبها إلى آدم عليه السلام ومن خلال هذا نستنتج أن ابن خلدون قد تتبّع مراحل ظهور الزراعة تاريخياً، كذلك اشار للصناعة بقوله:((**أما الصنائع فهي ثانيتها ومتأخرة عنها، لأنها مركبة وعِلْمِيَّة تُصَرّفُ فيها الأفكار والأنظار. ولهذا لا توجد غالبا إلا في أهل الحضر الذي هو متأخر عن البدو وأما التجارة، وإن كانت طبيعية في الكسب، فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنما هي تحيُّلات للحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب عن تلك الفضلة))**[3]. ومما سبق يظهر هنا وعي ابن خلدون في تحليل أهمية تقسيم العمل " المهني أو الحرفي" ومدى ارتباطه بالنواحي المادية والاجتماعية للعمران، وذلك لتحقيق التعاون والارتفاع من مستوى المعيشة.

1- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 253.

2- المرجع نفسه، ص 250.

3- المرجع نفسه، ص 243.

كذلك أورد ابن خلدون في فصل بعنوان في الإشارة إلى أمهات الصنائع في قوله:((**اعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران إلا أن منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع فنخصهما بالذكر ونترك ما سواهما فأما الضروري كالفلاحة والبناء والخياطة و النجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فالتوليد والوراقة والغناء والطب**))[1].

ويعد ابن خلدون احتياجات المعاش الضرورية والتي تشمل الأكل والمأوى واللباس وأما الشريفة بالموضوع هي الدلالة على مدى التحضر والتمدن وهذه البضائع ترقى لتصنف في مرتبة الضروريات لأهميتها في العمران فالتوليد والطب سبب لحفظ حياة الانسان وصحته والكتابة والوراقة حافظة له من النسيان الفكر و العلوم:((**وكل هذه الصنائع الثلاثة داع إلى مخالطة الملوك الأعاظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس بغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتهنة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي**))[2].

كما أدرج ابن خلدون ضمن هذه الصناعات القضاء والتدريس وعدد من الوظائف الدينية مثل الفتية والإمامة والخطابة والأذان، وكذلك دعا ابن خلدون إلى حرية الفرد الاقتصادية إذ يجب أن تكون بعيدة عن أي تدخل حكومي لأن في تدخلها سوف تعرقل الحياة الاقتصادية و حرية الفرد كذلك ((**لأن المحتكر يعرقل حرية التجارة فعلا**))[3]. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون ((**ومما اشتهر عند ذوي البصر و التجربة في الأمصار أن**

1- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 291.

2- المرجع نفسه، ص 293.

3- محمد عاشور: رواد الاقتصاد العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1998، ص 132.

احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء به مشؤوم))[1]. فالاحتكار عند ابن خلدون مذموم و مشؤوم نظراً لما تحده من أضرار على الاقتصاد الدونة.

المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد عند مالك بن نبي:

يعتبر مالك بن نبي* من بين المفكرين الذين تناولوا مشكلة الحضارة، حيث ربط عالم الاقتصاد بمشكلات الحضارة، ويرى أن الحضارة هي نتاج لثلاثة عناصر اساسية وفق المعادلة التالية ((**الحضارة = إنسان+ تراب+ وقت**))[2]. وعلى هذا الاساس فإن مشكلة الحضارة تكمن في ثلاث مشكلات وهي مشكلة الانسان ومشكلة التراب ومشكلة الوقت، أما من شأنه أن يربط بين هذه العناصر هو مركب الحضارة والمتمثلة في((**الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ**))[3].

ووفق هذا الطرح الذي يقدمه "مالك بن نبي" يظهر بشكل واضح دور الفكرة الدينية في توجيه السلوك الفردي، من خلال خلق نوع من الوعي في المجتمع لمواجهة الصعوبات التي تقف أمام استمرار الحضارة، فحقيقة الانسان التي لا تنحصر في الحاجة أو المادة فقط وإنما في الجمع بين الروحي والمادي، ذلك أن: ((**رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا وزمنيا، فهو لا يؤثر فيها طبقا لوجودها**

1- ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 272.

*- **مالك بن نبي** : مفكر نهضوي ولد في قسنطينة بالجزائر عام 1905م، كان من تلامذة ابن باديس وعمل في سبيل قومية اسلامية، وكذلك تقارب أسيا وأفريقيا، وأدار بعد الاستقلال حلقة فكرية عن سوسيولوجيا العالم الاسلامي، وكانت وفاته عام: 1973م، نقلت مؤلفاته التي عبر عن نفسه فيها بالفرنسية الى اللغة العربية، كما نقل بعضها الى الفارسية والأردية والتركية، من أهم مؤلفاته : الظاهرة القرآنية(1946)، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، الفكرة الأفريقية-الأسيوية (1956م)، مشكلة الثقافة (1957م)، مذكرات شاهد القرن (1965م)، وبالإجمال يمكن أن يعد مالك بن نبي أبرز المفكرين العرب الذي عني بالفكر الحضاري عند ابن خلدون، (أنظر: جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص 35).

2- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كامل المسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1986م، ص 45.

3- المرجع نفسه ، ص 46.

الزمني فحسب، أعني تبعا لحاجاته المادية، بل انه يؤثر طبقا لوجوده النفسي، أعني طبقا لحاجاته الروحية، وتلك هي حقيقة الإنسان كاملة))[1].

إذًا فالوظيفة الاجتماعية للدين، تظهر من خلال تركيب العناصر الثلاثة المكونة للحضارة، من خلال تشكيل قيم تنقل المجتمع من الحالة الطبيعية للإنسان الفطري إلى وصع إنساني، وهذا يتم عبر تحويل الانسان من فرد عضوي إلى وحدة اجتماعية وتحويل الوقت من مجرد ساعات تمر إلى ساعات عمل، وتحويل التراب إلى مجال ملائم لتوفير الحاجات الاجتماعية المختلفة، إلى مساحة لعملية الإنتاج.

كذلك ينطلق "مالك بن نبي" في معالجة موضوع التخلف من زاوية تتجاوز المنظور الاقتصادي فهي مشكلة ذات طابع نفسي ومن هنا حلّل عجز المسلم في عالم الاقتصاد حيث أنه لا يمكن لأي مبدأ اقتصادي أن ينجح إلا في إطار تجربة اجتماعية معينة، أي أن معالجة المشاكل الاقتصادية ينبغي أن تنطلق من الطبيعة البشرية، وهذا يعني الالتفات إلى عناصرها النفسية من خلال التركيز على تكوين الوعي الاقتصادي فالمسلم **((لم يتكون لديه وعي اقتصادي ولا تجربة ولا خبرة في عالم اقتصاد غريب عليه بكل مفاهيمه))**[2].

إن المشكلات في البلاد الاسلامية كما يرى مالك بن نبي تتمثل في عدم وجود الاستعداد العقلي الذي من شأنه تكوين الوعي الاقتصادي أكثر من كونها افتقاد للوسيلة المادية أو الامكان المالي ومن هنا يظهر لنا جلياً أسباب فشل مختلف التجارب في البلاد الاسلامية خصوصاً **((تجربة مثل التي أُجريت في اندونيسيا فقد تضمنت كل شروط النجاح، سواء من الناحية الامكانيات المادية.. من حيث الثروة الطبيعية والبشرية، أو**

1-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط1، 1959، ص 155.

2-مالك بن نبي: المسلم في عالم الإقتصاد، تر: عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط3، 1987م، ص 07.

من الناحية الفنية لأن واضع خطتها دكتور" شاخت"، الرجل الذي نهض باقتصاد ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية من نقطة الصفر تقريباً، ومع ذلك نراها فشلت فشلا ذريعاً))[1].

ومن هذا المنطلق يرى مالك بن نبي أن الاختلاف في المشهد الانساني وفي البنى الاقتصادية بين ((**محور "واشنطن – موسكو" حيث المصانع وناطحات السحاب وشبكة الطرق والمدن الكبيرة والتنظيم للوقت، وسيلاحظ ايضا محور " طنجة- جاكرتا "[عاصمة اندونيسيا] هنا سيرى مدن الأكواخ، والوقت يمضي خامدا مبعثراً))**[2]. حيث ترجع أسبابه إلى عوامل نفسية لا إلى عوامل اقتصادية، فالوعي الاقتصادي لم ينم بعد في شعور المسلم كالذي نما في شعور الانسان في المحور الأول، لهذا انتقد مالك بن نبي المنظور الاقتصاداني لحل مشكلة التخلف في العالم الاسلامي، فالاقتصادانية كما يرى بن نبي ((**هم أولئك الذين يضنون انهم يحلون المشكلات البشرية كلها بسبل اقتصادية))**[3].

ولقد تم الاعتماد على نموذجين اقتصادين وهما : الماركسية والليبرالية وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: ((**ثم إذا عدنا مرة أخرى إلى موقف مثقفينا من القضية الاقتصادية نراهم يصنفون صنفين، لا على أساس فني بل على أساس أخلاقي، صنف لا يبالي بعقيديه في انحيازه لنظرية اقتصادية معينة ويلقب نفسه بالتقدم لأنه يدعي الماركسية، وصنف ينحاز مبدئيا إلى الليبرالية لأنه يتجنب المادية والالحاد بحافز إسلامه))**[4]، من هذا المنطق فإن سألة بناء الوعي لدى المسلم في العالم الاقتصاد كما يشدد مالك بن نبي : ((**يجب ألا تجره الى وثنية جديدة ليصير من عباد صنم جديد**

1- مالك بن نبي: المسلم في عالم الإقتصاد، مصدر سابق، ص 08.

2- محمد العبدة: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، دمشق (سوريا)، ط1، 2006، ص 173.

3- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 40.

4-المصدر نفسه، ص 09.

إسمه الاقتصادنية، أو حتى الاقتصاد))[1]، وهذا ينسجم مع ما رأيناه سابقاً حول حقيقة الإنسان التي تتضمن الجوانب الروحية ولا تقتصر على الحاجة أو المادة وفقط، وعلى هذا الأساس أشار مالك الى محدودية التفسير الاقتصادي في العالم الإسلامي، وهو ما جعله يقدم طرحاً جديداً للاقتصاد يقوم على أسس الحضارة ومن هنا ينبغي للفكر الإسلامي أن يدرك جيداً كما يقول مالك بن نبي: **((الإقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان، وإنشاء سلوكه الجديد، أمام المشكلات))**[2]. وهنا قدّم مالك بن نبي تعريف للاقتصاد يقوم على مفهوم الحضارة، فالاقتصاد عنده لا يقوم على البنية التحتية من مصانع وهياكل، بل يهتم بشكل مباشر وبدرجة أولى على صناعة الإنسان من خلال توجيه سلوكه وتطوير ردة فعله أمام المشكلات التي تعترضه.

وكحوصلة عما ورد في الفصل الأول نقول أن الأفكار الاقتصادية إلى حد كبير هي نتاج زمانها ومكانها، وإذا ما أردنا أن نفهم علم الإقتصاد الحديث، ليس بوسعنا أن نفعل ذلك إلا من خلال فهمنا لماضيه، فمن خلال التطرق إلى مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي نجد أحكام أرسطو الأخلاقية بشأن الربا، ومروراً إلى أراء آدم سميث عن الرأسمالية المبكرة، حيث يرى ضرورة الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في الاقتصاد، ثم نجد ردة فعل كارل ماركس إزاء أفكار أدم سميث وصولاً الى مفهوم الاقتصاد في الفكر العربي الاسلامي، حيث نجد ابن خلدون الذي تطرق الى مسألة الكسب والمعاش، ثم تطرقنا إلى مفهوم الاقتصاد عند مالك بن نبي حيث ربطه بمشكلات الحضارة.

1-مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مصدر سابق، ص 41.

2-المصدر نفسه، ص 59.

الفصل الثاني :

الواقع الاقتصادي للعالم الاسلامي ومشكلة التخلف في فكر مالك بن نبي

- المبحث الأول: واقع اقتصاد العالم الاسلامي ومشكلة اختيار النموذج التنموي
- المبحث الثاني : الجوانب النفسية للتخلف الاقتصادي
- المبحث الثالث : الجوانب الاجتماعية للتخلف الاقتصادي

لا شك أن الاقتصاد كفكرة وكحركة، هو في الواقع تجسيد للحضارة كمجموعة من الشروط المعنوية والمادية، ومن هنا قام بن نبي بتشخيص الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي الراهن فوجد أنه يعاني من مشكلات جمة، ومن هذا المنطلق حاول بن نبي الخوض في هذه القضايا للوطن العربي الاسلامي، الذي يعني التشرذم والانقسام منذ أمد طويل، وعليه نتساءل:

ما هو الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي؟

وماهي أهم مشكلات التخلف لاقتصادي التي تطرق إليها مالك بن نبي؟

المبحث الأول: الواقع الاقتصادي للعالم الاسلامي ومشكل اختيار النموذج التنموي

المطلب الأول: واقع اقتصاد العالم الاسلامي

في إطار التحليل مالك بن نبي العميق لجذور الأزمة التي تتخبط فيها البدان العربية، حيث قابل بين محو(واشنطن–موسكو) من جهة وبين محور (طنجة–جاكارتا) من جهة ثانية، فقد عرف الأول بنفسية القوة وعبر عن الثاني بلفظ البقاء، ومن الناحية الاقتصادية أطلق على الأول محور الصناعة أو القارة الاقتصادية الشمالية، وعلى الثاني محور المواد الأولية أو القارة الاقتصادية الجنوبية.

وعليه فقد تطرق بن نبي إلى موقع العالم الاسلامي من خارطة توزيع الامكانات الاقتصادية إذ يرى سيطرة القارة الشمالية على الحياة الاقتصادية وحرية توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم وفي هذا الصدد يقول ابن نبي " **فلو سألنا أنفسنا عن كيفية توزيع متوسط الدخل السنوي في العالم ونحن نعلم قيمة هذا المفهوم الاقتصادي بوصفه دلالة على درجة التقدم في بلد ما، ماذا سيكون جوابنا؟ إننا قد تناولنا الاحصائية لمتوسط ادخل التي تصدرها هيئة الأمم كل سنة ونتلو الأرقام التي تتضمنها، ومن بينها على سبيل المثال الرقمان الولايات المتحدة أي 3020 دولار، وبالكويت أي 3400 دولار**"[1].

فالظاهر أن هذه الاحصائيات لمتوسط الدخل التي تصدرها هيئة الأمم المتحدة في سنة 1967م، "تبدو يقينية" فهي نتيجة دراسات معقدة كما تدعي، لكن أيعقل أن تكون دولة كالكويت متوسط الدخل الفردي أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا الصدد يقول" مالك بن نبي": **((إن متوسط الدخل في الولايات المتحدة 3020 دولار لا يخضع لشروط خارجة عن الأرض التي تتمتع به، ولا عن سياستها ولا عن ثقافتها ولاعن كل الظروف القاسية، فإنها لا تفقد بذلك سوى 5% من إمكانياتها الاقتصادية بينما كل الموارد التي يتكون منها متوسط الدخل الفردي في الكويت هو تحت رحمة يد**

1– مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص ص 49–50.

أو أيدي في الخارج تستطيع في كل حين أن تخلق أو أن تفتح صنابير البترول أكثر أو أقل))[1].

ومن هذا المنطلق فالولايات المتحدة تتمتع بالحرية الاقتصادية التامة حيث لا يوجد من يفرض عليها من الخارج، وليست تحت ضغط من طرف الدول الأخرى وهنا يكون متوسط دخلها مستقر، بينما نجد متوسط الدخل الفردي في الكويت تحت رحمة أيادي في الخارج، لها الصلاحية في التدخل في النشاط الاقتصادي، وكما عبر عن ذلك بن نبي تستطيع هذه الأيادي في كل حين أن تغلق أو تفتح صنابير البترول، بمعنى أن الدخل الفردي الكويتي مرهوناً بارتفاع وانخفاض البترول.

ومن خلال الخريطة توزيع متوسط الدخل السنوي الفردي في العالم طبقاً لإحصائية الأمم المتحدة لسنة 1967م، يمكن للقارئ أن يفهم ذلك التباين بين دول الشمال ودول الجنوب وهي كالتالي : [2]

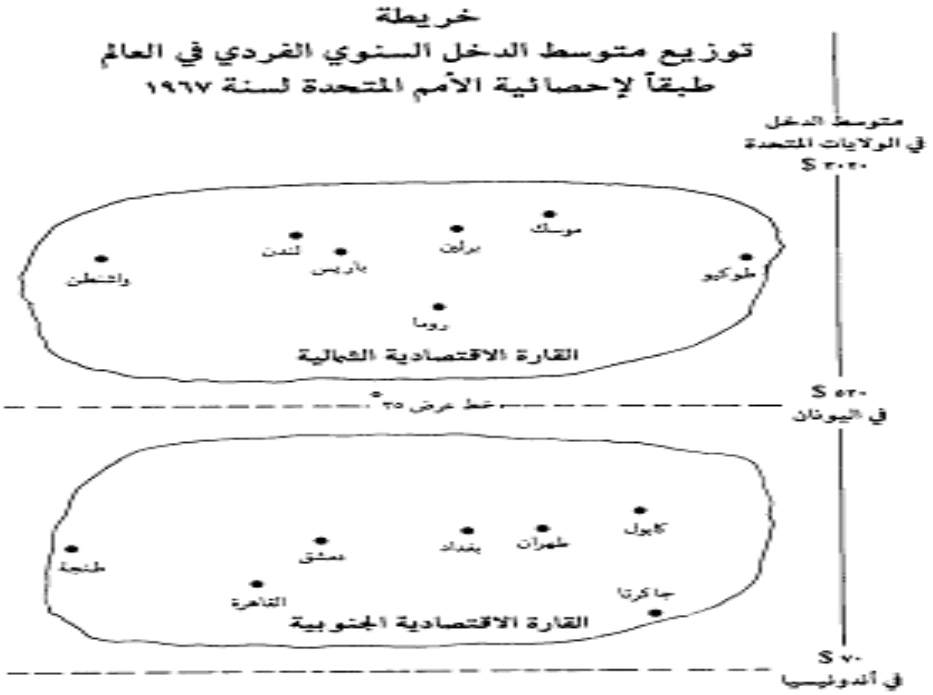

1- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص ص 51-52.

2- المصدر نفسه، ص 53.

فإحصائية التوزيع لمتوسط الدخل التي تصدرها الأمم المتحدة سنة 1967، تبتدئ برقم 3020 دولار للولايات المتحدة وتنتهي برقم 70 دولار لإندونيسيا وفي المنتصف نجد اليونان بما يعادل 520 دولار .

فمن خلال هذه الاحصائية أراد بن نبي أن يوضح موقع العالم الاسلامي من خارطة توزيع الامكانات الاقتصادية في العالم، إذ نراه يبن لنا جغرافيا ذلك التباين بين القارة الاقتصادية الشمالية والقارة الاقتصادية الجنوبية ((**التي تعتمد على الزراعة من ناحية، والمواد الأولية "الخام" من ناحية أخرى**))[1].

وعليه يتساءل بن نبي عن سبب التوزيع الغريب للإمكانات الاقتصادية الذي نجد صورته في شكل قارتين، وفي هذا الصدد يقول بن نبي: ((**إن السبب في ذلك يعود إلى وجود الصناعة في القطاع الشمالي من الكرة الأرضية وفقدانها في الجنوب**))[2]، ولكن هذه الفرضية سرعان ما تراجع عنها، وذلك من خلال العبرة الاندونيسية في حقل التنمية الاقتصادية، فقد حاول بن نبي تسليط الضوء على بعض أهم مظاهر التعثر أو الفشل الذي منيت به بعض التجارب التنموية في العالم الاسلامي منها التجربة الأندونيسية في أواخر الاربعينيات من القرن المنصرم مع الخبير الألماني في مجال التخطيط الاقتصادي "هجلمار شاخت"، حيث يتساءل بن نبي لماذا نجح المخطط الاقتصادي الذي وضعه هذا الخبير في ألمانيا، في حين نلاحظ فشله في اندونيسيا، ومن هذا المنطلق يرى بن نبي أن نجاح أي خطة اقتصادية يجب ادراك معادلتين يفسران واقع الانسان وهما :

((أ/معادلة بيولوجية تسوي بين كافة البشر من حيث الاستعدادات البيولوجية "المعقدة" وهي هبة من الخالق إلى المخلوق "الاستعداد الفطري الوراثي

1- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق ، ص 25.

2- المصدر نفسه، ص 54.

ب/معادلة اجتماعية : وهي تتباين من مجتمع إلى آخر إنها قاسم مشترك يطبع سلوك أفراد المجتمع الواحد ويحدد فعاليتهم أمام المشاكل بصورة تميزهم عن أفراد مجتمع آخر، أو عن جيل أخر من مجتمعهم))[1].

ومن هذا المنطلق يرى بن نبي أن فقدان الصناعة لا يفسر كل شيء في عالم الاقتصاد، فالمشكلة ليست في عدم وجود الصناعة في الدول المتخلفة بل كما يقول: **((إن القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي الانسان، ويمكن القول بقدر ما استفدنا من تجارب العالم الثالث في العقود الأخيرة، إن إهمال أو تجاهل قضية الانسان هي من الأمور التي أفقدت هذه التجارب الشرط الأساسي لنجاحها))**[2].

وعلى هذا الأساس يرى بن نبي أن التغيرات في عالم الاقتصادي هي في جوهرها تغيرات حضارية في القيم والأذواق والأخلاق، وهذا ما يرتبط بتحول الانسان نفسه في ارادته واتجاهاته عندما يدرك معنى وجوده في الكون واستناداً إلى الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[3]، كمبدأ أثبتته سنن التاريخ.

المطلب الثاني: مشكلة اختيار النموذج التنموي (الماركسي، الرأسمالي)

تعد مشكلة اختيار النموذج التنموي من بين المشكلات التي تطرق اليها مالك بن نبي، على إعتبار أن أية دولة تتبع منحى إقتصادي معين يسمح لها من ممارسة النشاط الاقتصادي بكل سهولة ويسر وعليه : **((فمن الممكن أن نتحدث في هذه الحدود عن حتمية اقتصادية تضغط بثقل فضائها على مصير الشعوب الإسلامية، ولكن هذا الفضاء لا دخل فيه للميتافيزيقا، وهو ليس فضاء مطلقاً نهائياً بل هو عارض طارئ من أعراض التاريخ أو هو بمثابة الزمن الميت في النمو المادي لتلك الشعوب))**[4].

1- المرزوقي بدر الدين، الأسس الحضارية للظاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، قراءة نقدية في بعض المفاهيم الحديثة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 29، الجزائر، ص 675.

2- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص 58.

3- سورة الرعد، الآية 11.

4- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص 15.

وعلى هذا الأساس يرى بن نبي أن مصير الشعوب الإسلامية تحت ضغط حتمية اقتصادية، والمتمثلة فيعدم تجاوز محدودية الاختيار بين النموذج الرأسمالي والنموذج الاشتراكي : ((**ولقد ظهرت الاثار الاجتماعية لهذا التنافي من اللحظة التي وقع فيها الرجل المسلم في الأحبولة الاستعمارية، فأصبح عميل المستعبد المستغل للاقتصاد، وهكذا بدأ عصر الحتمية الاقتصادية بالنسبة له بدء العصر الاستعماري ولم يخلصه تحرره السياسي بصفة عامة من التورط الاقتصادي**))[1].

فالرجل المسلم حينما تعرض لاستعمار فرض عليه نمط معين من الاقتصاد، ولم يترك له الحرية في الاختيار فأصبح يعاني من التبعية الاقتصادية للغرب وحتى وإن تحرر سياسياً من الاستعمار، وعليه فالرجل المسلم مضطر في هذه الحالة إلى الاختيار بين الرأسمالية وبين الاشتراكية.

ولقد رفض ابن نبي الرأسمالية لما ترتب عليها من آثار سلبية ونتائج خطيرة في المجال الاقتصادي والاجتماعي، ووجه لها عدة انتقادات من بينها :

1-**الطبقية:** يرى ابن نبي أن الطبقية هي نتيجة مباشرة من نتائج الرأسمالية، وظهر ذلك في أوروبا، "**بعد ظهور طبقة الرأسماليين وطبقة العمال نتيجة للثورة الصناعية**)) [2]، فمن خلال وجود الأموال عند فئة قليلة من الرأسماليين يحدث صراع داخل المجتمع .

2/ الربا: لقد ظهر الربا في الرأسمالية عندما بدأ : ((**استثمار المال بوصفه الوسيلة الوحيدة لدفع عجلة الاقتصاد، وإذا بها تلجأ لعملية تجميع الأموال وتركيزها في مؤسسات معينة كالبنوك، لتقوم هي بتوزيعها وتوظيفها في القطاعات الانتاجية المختلفة، على أساس الربا في عمليتي التجميع والتوزيع**)) [3].

1- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص ص 16-15.

2-مالك بن نبي: شروط النهضة، المصدر السابق، ص111.

3- مالك بن نبي : المسلم في عالم الإقتصاد، المصدر السابق، ص 43.

فالهدف من ذلك هو تحقيق أكبر قدر من الربح المادي، ومن هذا المنطلق يتجه ابن نبي إلى توضيح موقف الاسلام من الربا على اعتبار أن الاسلام واضح بالنسبة لتحريمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1].

3/ **الاحتكار: ((الاحتكار هو تحكم مؤسسة أو عدد من المؤسسات أو الأفراد في عرض أو طلب سلعة معينة من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح))**[2]، ولما كانت الرأسمالية تقوم على المنفعة المادية فالاحتكار من أسسها لفكرية الاقتصادية فهي مذهب قائم على أساس المنفعة.

فالإسلام حرم الاحتكار على اعتبار أنه إهدار لحرية التجارة والصناعة وإغلاق لأبواب العمل أمام الكثير من الأفراد وقتل لروح المنافسة التي تؤدي إلى الاتقان والتفوق في جميع المجالات حيث قال رسول الله ﷺ : **((لا يحتكِرُ إلَّا خاطِئٌ))**[3].

4/ **القيم:** إن الانحرافات الإباحية إلي تطورت في الدول الناشئة : كانت ناجمة على أساس مذهبي فآدم سميث قرر في مذهبه الحرية الفردية بوصفه قاعدة لدفع الحركية الاقتصادية : بحيث تم فتح المجال أمام المال والرأسمالية، حيث كانت هذه المبادئ على حساب المصالح العامة للمجتمع.

فالمسلم **((فإن جنح إلى الرأسمالية فسرعان ما يصطدم بإباحيتها القائمة على مبدأ الذي عبر عنه آدم سميث في العهد الاقتصادي الحديث، في عبارته الشهيرة دعه يعمل دعه يسير))**[4]، وعلى هذا الأساس يرى ابن نبي أن الرأسمالية لا تحترم القيم

1- سورة البقرة، الآية 275.

2- أحمد صبحي، أحمد العبادي: الأمن الغذائي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط1، 1999، ص 367

3- صحيح المسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، 1227.

4 -مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص 42.

الإنسانية بحيث لم يعد هناك ترابط بين القيم الاقتصادية والأخلاقية فلقد أهملت الرأسمالية هذا الترابط وذلك بسبب نظرتها الإباحية للاقتصاد.

كذلك رفض ابن نبي الماركسية لما ترتب عليها من آثار سلبية ونتائج وخيمة في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وعليه انتقد مالك بن نبي للمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، وسوف نكتفي فقط بالمادية التاريخية ومن هذا المنطلق نقول تعتمد المادية التاريخية كنظرية اعتمدها ماركس في تحليله للجوانب الاقتصادية على أن النظام الاقتصادي هو أساس النظم الاجتماعية والسياسية والفكرية، وعليه فالقاعدة الفكرية للمادية التاريخية هو العامل المادي متمثلا في العامل الاقتصادي، وعلى إثر ذلك فقد رفض ابن نبي هذا العامل كعامل وحيد في عملية التغيير الاجتماعي ((**فالنظرية الماركسية التي ترد المشكلة كلها إلى العوامل الاقتصادية، تغفل بعض الأشياء الجوهرية في الظاهرة الاجتماعية أو تغض من شأنها**))[1]. ومن هنا ناقش بن نبي المادية التاريخية في النقاط التالية :

1/ العامل الاقتصادي :

يبين مالك بن نبي أن جميع العلاقات الموجودة في أي واقع هي ليست علاقات إنتاج، بل هي علاقات تحمل في جوهرها قيمة فكرية ثقافية يمثلها القانون الأخلاقي، موضحا ذلك من خلال عادة الوأد في المجتمع الجاهلي، ودليله على وجودها هو القرآن الكريم مستدلا عليها بقوله : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾[3]، فإن القيمة الخلقية التي عبر عنها هذا التشريع بتحريمها لا يمكن أن تكون ثمرة من ثمرات العامل

1 – مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص15.

2 – سورة الأنعام : الآية 151.

3 – سورة الإسراء : الآية 31.

الاقتصادي الناتج عن واقع المجتمع الجاهلي، الذي تحول إلى مجتمع إسلامي فهب فجأة لينتج حضارة رائعة .

فالأفكار هي المؤثرة في عملية تغيير الواقع الاجتماعي لا المادة أو الواقع الاقتصادي، وهذا واضح من تغير مفاهيم الناس حول عادة الوأد مما ساعد على إبطالها مع وجود نفس الواقع الاقتصادي المادي.

ويعطينا بن نبي مثالا آخر على سقوط هذا المفهوم من الواقع المعاصر ليأخذ منه دليلا على أن التغيير في الظرف الاقتصادي لا يؤثر على التغيير في الواقع الاجتماعي وذلك من خلال الواقع العربي فالبترول كقوة اقتصادية لم يرفع المستوى الاجتماعي، أي لم يؤدي إلى وجود نهضة حضارية في هذه البلاد، ولذلك فالفكرة الماركسية مرفوضة ولا يمكن الأخذ بها.

2/ علاقات الإنتاج :

((إن الماركسية لا تعترف بأي علاقات بين البشر، إلا بما يسمى علاقات الإنتاج وهي علاقة الناس فيما بينهمُ أثناء سير الإنتاج، وإن هذه العلاقات تكون متأثرة بقوى الإنتاج المتمثلة بالناس والأدوات ومعرفة استخدامها، فقوى الإنتاج وعلاقاته هي وحدها المؤثرة في التغيير الاجتماعي))[1]، وعليه فمالك بن نبي يخالف هذه النظرية الماركسية، ويخرج بذلك بمفهوم واضح للعلاقات، وذلك يربطها بالفكر الأخلاقي المنبثق من مصر قدسي : **((فالعلاقة بين الله والإنسان هي التي تنشئ العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإنها توحدها في صورة القيمة الخلقية، فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية، على أنها حدث، ومن الوجهة الكونية على أنها عنوان لحركة تطور**

1- قا أنا ستيف : أسس الفلسفة الماركسية، تر: عبد الرزاق الصافي، دار الفارابي، بيروت ،ط4، 1984، ص ص 168، 169.

اجتماعي))[1]، وعلى هذا الأساس يرى بن نبي أن العلاقات بين البشر تكون بواسطة الفكر الأخلاقي المتأتي من جوهر قدسي والمتمثل في العلاقة بين الله والإنسان، فهذه العلاقة هي التي تنشئ العلاقات الاجتماعي بين الإنسان ومجتمعه.

المبحث الثاني : الجوانب النفسية للتخلف الاقتصادي.

المطلب الأول: غياب الفعالية:

يرى بن نبي أن السبب الجوهري الذي يعاني منه واقعنا الاقتصادي هو مرض أصاب نفس الفرد وهو ما سماه بن نبي بـ " غياب الفعالية "، فالعالم الإسلامي يعاني من الإخفاق المزمن والركود والخمول والعجز الدائم وسبب في ذلك هو غياب عنصر الفعالية، فالحضارة مادامت وجود حقيقي فوجودها مرهون بوجود الفرد الفاعل والمتفاعل، إذ أنه صانع الحضارة، ومدمرها في الآن ذاته، فهو الوحيد الذي يمتلك مفاتيح وأدوات البناء كما يمتلك أسباب الدمار فهو محركها بإرادته **((التي تنبع دائما من الإطار العام للمجتمع الذي هو جزء منه، وكلما كان المجتمع متماسكا وللأفكار فيه دور وظيفي انتظمت إرادة الفرد في أطرادها وتنافست الجهود في مسيرتها المتناغمة وهكذا فان المجتمع وقدرته تضيفان صفة الموضوعية على وظيفة الحضارة))**[2] وعليه فالفرد هو كينونة اجتماعية فاعلة في بناء الحضارة، وهذا هو الأصل كما يرى بن نبي وفي سياق حديثنا عن الفعالية الفردية المجتمعية المولدة للحضارة، **((فإننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافعالية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث وفي المحاولات الهازلة))**[3].

1 –مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي ، المصدر السابق، ص30.

2–مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي : تر : أحمد شعبو، دار الفكر : دمشق : (سوريا)، ط1، 1988، ص9.

3 –مالك بن نبي : مشكلة الثقافة : تر: عبد الصبور شافي : دار الفكر : دمشق (سوريا)، ط04، 1984، ص87.

ومن هذا المنطلق يرى بن نبي أن كثيرا من النشاطات التي يؤديها الفرد المسلم هي نشاطات عشوائية وغير مخططة، وأنها بسيطة، فإذا ((**نظرنا إلى واقعنا لنرى الرجل الأوربي والرجل المسلم أيهما ذو نشاط وعزم وحركة دائبة، ليس هو الرجل المسلم بكل أسف وهو الذي يأمره القرآن – كما يعرف ذلك تماما بقوله تعالى ((وأقصد في مشيك)) – لقمان 19/31– : وقوله ((ولا تمشي في الأرض مرحا)) – لقمان 18/31))**[1].

ومن هنا يرى بن نبي أن الرجل المسلم فاقد للفعالية وللعمل الجاد، والنافع مع أن القرآن والسنة تدعوه إلى ذلك، وفي قوله صلى الله عليه وسلم ((**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**))[2]، وفي المقابل نجد الرجل الأوربي يتمتع بنشاط كبير ونلاحظ ذلك من خلال انضباطه واتقانه لعمله ((**ومثال توضيحي آخر لواقع مأساوي مؤلم ومضحك في الوقت ذاته، فالجزائري باعتباره مسلما كنموذج متكرر في جل ربوع العالم الإسلامي، بمجرد استيقاظه من النوم نجده يستلقي على الأريكة أو على السرير للاستراحة؟؟ أو نجده يجلس مطولا لإرتشاف كوب شاي أو قهوة سواء في منزله أو مقهى وتمر الدقائق والساعات التي تنسل من حياته وهو على ذات الحال والوضع أين نحن من المنطق العملي**))[3]، فالإنسان المسلم سواء كان جزائري أو من الدول الأخرى المسلمة، فهو يتميز بالكسل والخمول والاستكانة وذلك حين استيقاظه من النوم، فمن المفترض أن يكون العكس من ذلك، لكن هذه هي حقيقة الفرد المسلم فالمنطق العملي عل هذه الحالة يكون معدوم ولا وجود له ويرى بن نبي أن مرجع ذلك هو ((**العجز في الأفكار فهو الذي يخلق أو ينتج في المجال النفسي عجزا في المراقبة الذاتية وفي مراجعة النتائج، ففكرنا لا يقيم علاقات بين النشاطات والجهود والوسائل من ناحية أخرى**))[4]، إذا فالافعالية

1 – مالك بن نبي : مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص87.

2– رواه مسلم (2664).

3–لامية بوبيدي، كريمة مقاوسي: الرؤية الاصلاحية في فكر مالك بن نبي: مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ع19، الجزائر، ص23.

4–مالك بن نبي : فكرة كمنويلث اسلامي: تر : الطيب الشريف، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1960 ،ص59.

أضحت سمة من سمات الفرد المسلم منذ زمن طويل إلى اليوم، هذا الذي كان مثلا يقتدى به في الحيوية والنشاط والإبداع والإنتاج الفكري .

المطلب الثاني : الميل إلى التكديس :

ومن بين الأمراض المتعددة والكثيرة التي تولد في محيط تسيطر عليه اللافعالية هو الميل إلى التكديس، فبين حضارة التكديس وبناء الحضارة مفارقة بني من خلالها بن نبي مقاربته الحضارية فالتوجه العام للعالم الإسلامي كان نحو الأولى من خلال اقتناء وتكديس منتجات الحضارة الغربية ضنا منه أن التكديس وامتلاك تلك المنتجات الأخرى هو ما يحقق لنا النهضة والتقدم، فالحضارة تبنى ولا تشترى ((**فقشور وبهرجة الحضارة الغربية سلبت عقول المسلمين وسكنت روحهم واستحوذت عليها، فتملكتهم كما استعبدته دهرا من الزمن ، فالقائم محصلة للنظر السطحية غير العميقة في لب القضية، إنما نضرت إليها على أن التحصيل الحضارة إنما يكون عن طريق جمع وتكديس منتجات (الحضارة الغربية)، غير أن الفرق شاسع بين بناء الحضارة وتكديس منتجاتها**))[1].

وعليه فالمجتمع الإسلامي الذي انخرط في تيار التكديس، وأول ما توجه إليه هو التنافس في امتلاك تلك الوسائل وتقنيات المتطورة كالسيارة والحاسوب والتلفاز والهاتف: معتقد في نفسه بأن ذلك هو الطريق الذي يحقق من خلاله نهضته، في حين إن هذا التكديس يؤدي إلى التمدن فقط لا إلى الحضارة، فالتمدن يمكن صناعته كأن نرتدي ملابس غربية واقتناء سيارة فخمة، ونتحدث بلغة غيرنا لكن رغم كل هذا فسنظل نحمل في ذواتنا أفكارا لا تحرك المجتمع، وعقلا ضيقا لا يتعدى الأفق كما هو حالنا اليوم.

ويستقي بن نبي بعض الأمثلة من الواقع التي تعبر بوضوح عن ذلك الاعتقاد بان عجزنا يكمن في الأشياء لذا ينبغي أن نضاعف تكديسها علنا نخفي نقائصها إذ يقول ((**ولكن روح التكديس والشيئية التي يجب التخلص منها، ما انفكت مستمرة البقاء،**

1-الطاهر سعود : التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهدى : بيروت، ط1، ص120.

وهي قد تتبدى أحيانا تحت مظهر مشتط في الهزل ذلك عندما نلاحظ أن نعير العالم الإسلامي أربعة أجهزة للتكييف الهوائي في مقصورة أحد رؤساء المصالح، أو خمسة أجهزة هاتفية على مكتبه))[1]، ومن هذا المنطلق يحاول بن نبي دائما تحليل النتائج التي تؤدي إليها تلك الانحرافات الفكرية والمنهجية التي تخل بالسير الصحيح لنهضة العالم الإسلامي، وذلك لأن ((**العالم الإسلامي أضحى جزءا من مجتمع عالمي يبيعه الأشياء ويفرض عليه في الوقت نفسه مقاييسه ويرغمه على إعادة اعتبار لمعاييره وعلى التمثل أفكاره حسنها ورديئها، وهكذا رد المجتمع الإسلامي على مفعول هذه الرابطة باعتبارها إلزاما في الحقل الاقتصادي وفي الحقل الفكري، وهكذا انشأ تباين أدى إلى الاضطراب والفوضى))**[2].

وفي ظل هذه المعطيات ينتمي المسلم إلى عالم ليس من صنعه، مفروض عليه بمحتوياته ومقتنياته المختلفة، فكما تستورد تقنية، فنحن أيضا نستورد أطرها الفكرية ومعاييرها ن وعليه من الواجب أن نقوم بعملية الغربلة والتمحيص من اجل تجنب حدوث أي انزلاقات تأخذنا نحو الهاوية وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي ((**العالم الإسلامي أمام طوفان عالم الاستيراد، فمن الواجب أن نقيم على عتبة كل موائل مصفاة لا تسمح بالعبور لغير الضروريات الحقيقية هذا النوع من التكرير أو التصفية يجب أن يحدث على عتبة المجتمع نفسه))**[3]، بمعنى أن المجتمع الإسلامي يجب عليه أن يدرك ما يجب أخذه أو ما يجب تركه من الحضارة الغربية، أي يجب عليه أن يقوم بعملية انتقاء لكل وارد من أجل تجنب حدوث أي اختلالات في العالم الإسلامي.

1-مالك بن نبي : القضايا الكبرى، تر : عمر كامل مسقاوي : دار الفكر، دمشق (سوريا) : ط1، 1991، ص ص 50، 51

2-عمر كامل مسقاوي: في صحبة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا : د ط، 2013، ص74.

3-المرجع نفسه، ص 73.

المطلب الثالث: القابلية للاستعمار

إن ما تشترك فيه شعوب العالم أن جلها كان مستعمر من قبل المستعمرين استنزفوا خيراتها وثرواتها ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل كان المستعمر ((**لا يسلب الشعب المستعمر أشياء فقط بل سيتولى أيضا على نفسه**))[1] وفي هذا الصدد يعطينا بن بني مثال توضيحي عن كيفية ممارسة المستعمر طرقه غير المباشرة على بلاد المستعمرة

يقول بن نبي: ((**فمن طرائف الطبيعية ما يحكى عن ذلك الطير الذي يبيض بيضاته في عش غيره من الطيور بعد أن يلقي ما يوجد به من بيض على الأرض فيكون صاحب العش مضطرا هكذا على قبول ما يفرخ في عشه من غير صلبه**))[2] فهذا الطير الذي وظفه، بن نبي في مثاله اسمه الوقواق، فهو معروف بطبعه الفريد من نوعه:إذ يبيض في أعشاش غيره من الطيور حيث تضع أنثى هذا الطير بيضها في أي عش يناسبها، بعد أن رمت بيض ذلك العش، فيكون صاحب العش مضطرا على قبول ما يفرج في عشه من غير بيضه ((**فالاستعمار ليس بالضبط مثل هذا الطير الغريب لأنه لا يحتل فقط عش غيره، بل يحتل أيضا ما ينتجه الشعب المستعمر من يد عاملة بلا ثمن، كي يسخرها في حقل رسالة حضارية على حد زعمه انه لا يسلب المستعمر أشياءه فقط بل يستولي أيضا على نفسه وهذا الاختلاس المزدوج هو ما يحاول أن يخفيه بكلمة جديدة السيادة المشتركة كما لو قال الطائر المختلس العش المشترك**))[3].

وعليه فالقابلية للاستعمار يعد من أشهر المفاهيم التي أبدعها بن نبي، إذا أدرك أن الأمة الإسلامية عاجزة عن تحقيق نهضتها ما دام أفراده يتصفون بنوع من السلبية واللامبالاة اتجاه مشكلات الواقع الذي خطط له الاستعمار والذي فرضه عليهم وحالة الرضا بالواقع المتدهور والأليم: دون بذل جهد لتغيير، وهي ظاهرة تستمد معناها: ((**من**

1-مالك بن نبي : في مهب المعركة، تر : عمر مسقاوي : دار الفكر، دمشق (سوريا) : ط1، 1981، ص47.

2- المصدر نفسه ، ص 47.

3-المصدر نفسه، ص 47.

المناخ الثقافي والاجتماعي في مجتمع الانحطاط أو ما بعد التحضر كما يجليه واقع المجتمعات المستعمرة، وكما يظهره واقع الفرد في نفسيته أو سلوكه المتصف بالسلبية والاستسلام))[1]، إذ أن الهزيمة النفسية التي تعانيها طائفة من أفراد المجتمع الإسلامي دفعت بهم إلى السير في عكس الاتجاه الصحيح للتقدم وذلك من خلال الاستسلام للمشاريع الاستعمارية وتأييدها.

كما أن القابلية للاستعمار تتجلى في ذلك الكسل العقلي والعملي في المشكلات التي تتطلب الفعالية، فلا يمكن لمجتمع يريد النهوض من سباته أن يهمل دور البحث العلمي على اعتبار أن النشاط الاقتصاد لأي دولة مرهونا بما يقدمه البحث العلمي لطلابه من وعي اقتصادي، بحيث تكسبه أدوات وطرق من أجل حل المشكلات الاقتصادية التي تعترضه.

1 –نورة خالد السعد: التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية لنشر والتوزيع، الرياض دط،1997، ص115.

المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية التخلف الاقتصادي

المطلب الأول: تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية

يرى بن نبي أن الفساد في العلاقات الاجتماعية يعود إلى ذلك المرض الذي يصيب ذات الفرد: فيصبح بذلك الجسد الاجتماعي خاضعا لسيطرة النزعة الفردية التي تجعل أمر القيام بالعمل الجماعي المتكامل شيء مستحيل، مما يؤدي إلى انحراف النشاط الاجتماعي و((**بهذا فان المظهر الأول من مظاهر الانحطاط في المجتمع ما هو تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية التي يظهر أثرها في عالم الثقافة لذلك المجتمع، فتمزق شبكة لعلاقات الاجتماعية هو في حقيقة تمزق لعالم الثقافة باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، فأي خلل فيها يعود بالإخفاق على الجهود الجماعية والفردية**))[1].

كذلك ينتج من تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية: غياب التواصل بين طبقات المجتمع: وهذا ما يثبته واقعنا بحيث نجد انعزال النخبة السياسة على عامة الشعب، والتي من المفروض أن تكون هذه النخبة على مقربة من الشعب لكي تستجيب لمطالبهم.

وعليه فنضرة مالك بن نبي إلى الفرد في علاقته مع المجتمع هي نظرة إلى المستقبل يعني أنها تشمل بالشروط التي يجب إن تستجيب إليها النهضة لكي تحقق مصير الأمة، وعلى هذا الأساس يقول بن نبي: ((**فالإنسان الذي لا يكون مجتمعه مجتمع حضارة، معرض للحرمان من الضمانات الاجتماعية، فأنا حينما أحاول تحديد مجتمع أفضل فكأنني أحاول تحديد أسلوب حضارة، إذ أنني حينما أحقق الحضارة أحقق جميع شروط الحياة، والأسباب التي تأتي بتوسط الدخل المرتفع، بمعنى أنني أحقق الخريطة الاقتصادية، ونتائجها الاجتماعية والثقافية أيضا**))[2].

1 – نورة خالد السعد: التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 186.

2–مالك بن نبي : تأملات، تر : عمر مسقاوي، دار الفكر ن دمشق (سوريا)، ط1، 1979، ص163.

وهنا يؤكد بن نبي على إن العلاقة بين الفرد والمجتمع لا يمكن التحدث عنها إلا في حالة ارتباط الفرد بمجتمع تاريخي حضاري يتحول من خلاله الفرد إلى شخص اجتماعي يساهم في بناء شبكة العلاقات وصنع الحضارة.

المطلب الثاني : طغيان عالم الأشخاص

إن عالم الأشخاص يظم أشخاصا وذواتا بناءة، وأخرى تمثل النقيض بمعنى ذواتا هدامة: فطغيان عالم الأشخاص كان سببا رئيسيا في إحداث تلك الاختلالات داخل المجتمعات، وذلك لكونه مرتبط مباشرة بالفرد الذي يعتبر الوحدة الصغرى في بناء المجتمع والحضارة ((**فالفرد الذي تقوم عليه الحضارة لا ينبغي أن يكون فردا أنانيا في تفكيره، وفي تكوينه وفلسفته، وانما يجب ان يدرك تمام الادراك انه ضمن نسيج اجتماعي قائم على التكامل والتفاعل والإنتاج، فالشمولية في مفهومها الايجابي هي الرصيد الذي يستطيع المجتمع من خلاله تأكيد وتعزيز قدراته العملية، والعلمية والإنتاجية التي تصب في أتون التفعيل الحضاري المنسجم**))[1]، فالحضارة من منظور مالك بن نبي تقوم على الفرد الصالح، بحيث لا يجب أن يكون أنانيا في تفكيره وفلسفته، بل يجب أن يدرك أنه داخل نسيج اجتماعي قوامه التكامل بين وحداته، لكن فأي خلل في ترابط البناء عالم الأشخاص حتما سيؤدي إلى انهدام المجتمع، وذلك عندما لا يكون ((**عالم الأشخاص على هيئة النموذج الأصلي الأول، بل يصبح عالم المتصوفين ،ثم عالم المخادعين والدجالين من كل نوع، ولا سيما من نوع الزعيم**)).[2]

اذ يرى بن نبي إن المجتمع يكتسب عادات فكرية تترسخ في نظامه الاجتماعي وهذه العادات الفكرية تقف في وجه كل جديد ويصبح الركود الحضاري معول هدم لكل تجديد ن فالانحراف عن الطريق الصحيح للنهضة، تم حينما غيبت الفكرة ليحل محلها

1 –بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي : منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د ط 2005، ص ص 79–80.

2–مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص40.

الشخص إما في هيئة مخادع ودجال يرتدي قناع الزعيم السياسي الذي يدعي انه يعرف كل شيء والمالك الوحيد لحل جميع المشاكل التي تعاني منها الأمة.

لكن نجد أن القرآن الكريم قد وضع حدا لذلك بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين** ﴾[1] وهذا ((**التحذير ليس موجها لتفادي خطأ أو انحرف مستحيل من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن من أجل الإشارة إلى خطر تجسيد الأفكار بحد ذاته**))[2]، فعندما يتجسد المثل الأعلى في شخص ما فهناك خطر على المجتمع على اعتبار أن هذا الإنسان ليس معصوم من الخطأ فيصيب ويخطأ ولكن إن اخطأ سينعكس بضرورة على مجتمعه الذي جسد في شخصه مثله الأعلى.

المطلب الثالث: طغيان عالم الأفكار

يرى بن نبي أن الأفكار الغيرية اكتسحت العالم الإسلامي جاعلة من المسلم جسدا بلا روح وبلا أفكار، ليمتثل بذلك للآخر في فكره ومعاييره ،وفيما يتعلق بطبيعة الأفكار في العالم الإسلامي فإنها تتميز بالضعف والوهن والسبب وراء ذلك أنها مستوردة من الغرب حالها كحال التقنية والوسائل الأخرى.

كذلك فعالم الأفكار عند بن نبي ذو أهمية كبيرة إذ يرى: ((**أن الأفكار في حياة المجتمع تتجلى في صورتين فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا**))[3]، وذلك على اعتبار أن لأي نشاط يقوم به الفرد هو ترجمة لمجموعة من الأفكار والتصورات التي تسبق الفعل، فإذا كانت الأفكار التي يحملها

1-سورة آل عمران الآية : 144.

2-مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي ، المصدر السابق، ص 82.

3مالك بن نبي : مشكلة الثقافة : المصدر السابق، ص14.

المجتمع أصلية وفعالة فإنها تدفع بحركيته التاريخية نحو التطور، وأما إذا كانت الأفكار من النوع الميت فإنها تعيق نمو المجتمع وتجعله صعبا ((فعندما يكون المجتمع في حالة تخلف قد يصل الأمر إلى طغيان عالم الأفكار، فعندما لا يستطيع المسلم القيام بعمل مثمر يلجأ إلى البحث في الأفكار المجردة النظرية التي لا تأخذ طريقها إلى التطبيق، وبدل إن يتكلم عن معاناة الناس ومشاكلهم والتخطيط لمجتمع أفضل، فهو يتكلم عن الماضي الذي له صلة بالحاضر أو ينقل معارك وهمية ليكون هو أحد أبطالها، وتدفع المطابع كل يوم بعشرات الكتب التي لا تمس الواقع، بل هي هروب من هذا الواقع))[1] بمعنى إن الأفكار في هذه الحالة تكون ساذجة وليس لها مكان في الواقع الحضاري، فهي أفكار ميتة وفي نفس الوقت قاتلة لأنها تؤثر بالسلب وتأخذ حيزا كبيرا في فكر الإنسان.

1-محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، المرجع السابق، ص 90.

وكحوصلة عما ورد في الفصل الثاني نقول إن مالك بن نبي تطرق إلى واقع الاقتصاد العالم الإسلامي وذلك من خلال خريطة توزيع الإمكانات الاقتصادية في العالم، كذلك قدم نقدا قويا للفكر الاقتصادي الرأسمالي، وناقش الفكر الماركسي.

حيث أثبت فساد هذا الفكر، كذلك تطرق إلى الجوانب النفسية والاجتماعية، للتخلف الاقتصادي أما الجانب النفسي للمشكلة فيمثل في انعدام الفعالية الفردية، كما نستنتج أيضا أن تحقيق النهضة لا يتحقق بتكديس منتجات الحضارة الغربية، كذلك نجد القابلية للاستعمار الذي يتجلى في ذلك الكسل العقلي والعملي أما الجانب الاجتماعي ويتمثل في تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية، وهي مشكلة تسبب في تدهور عالم الأشخاص وتفكك في عالم الأفكار.

الفصل الثالث :

عناصر الإقلاع الاقتصادي وأولويات الحركة التنوية عند مالك بن نبي

- **المبحث الأول:** عناصر الاقلاع الاقتصادي عند بن نبي
- **المبحث الثاني:** أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي
- **المبحث الثالث:** الحركة الاقتصادية على الصعيد الخارجي

إن التركيز على القضايا الفكرية والتأسيس لها يطرح جانبا مهما وهو الجانب المؤسسي وضرورة تفعيله باعتباره حلقة الوصل بين الفكر والتطبيق، وعلى هذا الأساس يرى مالك بن نبي أن الفكرة هي التي تحرك المجموع بهدف التغيير والبناء الاقتصادي، وفي إطار مقارباته حول مشاكل الحضارة استطاع بن نبي أن يقدم إطارا منهجيا للعلاقة بين المسلم والاقتصاد وهذا الإطار المنهجي والإيجابي الذي استمد أصوله وقواعده من التحليل لعقلية المجتمع المسلم مبني على التخطيط العلمي والاستثمار الاجتماعي الإنساني وكذلك فكرة التوجيه المجتمع.

وعليه نتساءل: ما هي عناصر الإقلاع الاقتصادي؟ وكيف تجلت الحركة الاقتصادية عنده؟

المبحث الاول: عناصر الاقلاع الاقتصادي عند مالك بن نبي

المطلب الأول: توجيه المجتمع

في هذا الإطار تحدث مالك بن نبي عن فكرة التوجيه التي تعبر عن استخدام كل القوى والطاقات داخل المجتمع وتكتلها وفق هدف واحد في أحسن الظروف الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه وحين تتحرك هذه الطاقات بتحدد مجرى التاريخ وعليه فالتوجيه هو تجنب الإسراف والتبذير في الجهد والوقت، وفي هذا تكمن أساس فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية وبواسطتها يكتسب معنى الجماعة ومعنى الكفاح وتبعاً لأن الفرد يؤثر في المجتمع بفكره وعمله وماله فإن قضيته منوطة بتوجيهه في ثلاث نواح تتمثل في توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال.

1/ توجيه الثقافة : إن الثقافة تتميز عن العلم كونها نظرية في السلوك أكثر من إن تكون نظرية في المعرفة ويمكن تعريفها على أنها **((مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه : والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته .... فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر ، وهكذا نرى أن هذا التعريف يظم بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية، عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات))**[1].

ومن هنا يكمن المعنى التاريخي للثقافة كونها تمثل كل ما يعطي للحضارة سمتها الخاصة ويحدد أقطابها العقلانية والروحانية، كما أنها من الناحية التربوية ليست مفهوما طبقيا يعنى بطبقة من الشعب دون غيرها بل هي دستور الحياة العامة، وظيفتها في

1- مالك بن نبي : شروط النهضة، المصدر السابق، ص83.

المجتمع يمكن تمثيلها ((**بوظيفة الدم، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسد فالثقافة هي ذلك الدم في الجسم المجتمع يغذي حضارته ن ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة، والاتجاهات الموحدة ن والأذواق المتناسبة**))[1]، ومن هذا المنطلق حدد بن نبي البرنامج التربوي للثقافة في عناصر أربعة يتخذ فيها الشعب دستورا لحياته المثقفة وتمثل في ((**عنصر الأخلاق لتكوين الصلاة الاجتماعية، عنصر الجمال لتكوين الذوق العام ،منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام الفن التطبيقي أو الصناعة المناسبة لكل نوع من أنواع المجتمع**))[2]، فهذا البرنامج التربوي توظف فيه القيم الأخلاقية من أجل تكوين الصلات الاجتماعية والثقافية التي يتفاعل خلالها عالم الأشخاص والأفكار، ويراعي فيها عنصر الجمال لتكوين الذوق العام، ولتحسين الأعمال وإتقانها، كما يستخدم فيه المنطق العملي لتحديد أشكال ومسارات النشاط العام وتحقيق الهدف في كل عمل ،أما الصناعة فتعنى بجانب الفنون التطبيقية الملائمة والملازمة للمجتمع.

إذا فتوجيه ثقافة الإنسان بالنسبة لبن نبي هو عامل ضروري لتكوين وعي اقتصادي وإنشاء سلوك جديد، أو ما يعبر عنه مالك بالإنسان التنمية الاقتصادية ،ولذلك يجب توجيه الإنسان باعتباره انه يشكل المحور الأساسي في المنظومة الاقتصادية، أي يجب إن تصنع الحضارة داخل الإنسان، لتفادي اللافعالية التي تميز الإنسان القارة الجنوبية.

2/ توجه العمل: يرى مالك بن نبي أن عنصر العمل يتولد من العناصر الثلاثة المكونة للحاضرة ((**فهو الذي يحدد مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي ورغم أنه ليس**

1-مالك بن نبي : شروط النهضة، المصدر السابق، ص ص 56- 87.

2-المصدر نفسه، ص87.

عنصرا أساسيا كالإنسان والزمن والتراب إلا أنه يتولد من هذه العناصر الثلاثة، لا من الخطب الانتخابية أو الوعظية))[1]، وعلى هذا الأساس يرى بن نبي أن العمل هو ناتج الجمع بين عناصر المكونة للحضارة ولا يمكن أن يتأتى من الخطب الانتخابية التي تقدم تلك الوعود الكاذبة كالمشاريع المستقبلية، وإعطاء فرص العمل للبطالين وهذه حقيقة يثبتها واقعنا اليومي.

كذلك يرى بن نبي أن الشيء الذي يهمنا في المجتمع الناشئ هو ((**الناحية التربوية في عملنا لا الناحية الكسبية إذ أن الناحية الكسبية لا تظهر إلا في المرحلة التي تطابق عند علماء الاجتماع (تقسيم العمل) أو أي خلط بين هذين المظهرين يدفع المجتمع الناشئ إلى إهمال شطر من إمكاناته وإثقال كاهله بالأعباء، التي لا يمكن تحملها إلا لمجتمع تطور فعلاً وأصبح شعاره كل جهد يستحق أجرا))**[2]، ومن هذا المنطلق فالغاية من العمل في المجتمعات الناشئة هو التركيز النظر إلى الناحية التربوية لا الناحية الكسبية، فهذه الأخيرة لا تظهر إلا في مجتمع ادرك مفهوم العمل ونظامه وتقسيماته بين وحداته وأصبح شعاره كل جهد يستحق أجرا.

لكن الخلط بين هذين المظهرين أي الناحية التربوية والناحية الكسبية بالنسبة للمجتمع الناشئ حتما سيؤدي إلى إهمال جزء من إمكاناته وإثقال كاهله بالأعباء التي لا يمكن تحملها إلا لمجتمع تطور فعلا وفي هذا الصدد يقول بن نبي: ((**أما في المجتمع الناشئ، فان كلمة أجر تفقد معناها، لأن العامل لا علاقة له بصاحب العمل، ولكن بجماعة أو عشيرة يشاطرها بؤسها ونعماها))**[3]، فمدلول كلمة أجر في المجتمع الناشئ

1-مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص107.

2- المصدر نفسه، ص 107.

3-المصدر نفسه ، ص107.

تفقد قيمتها: وسبب في ذلك هو الانفصال بين العامل ورب العمل: إذا فالعامل في هذه الحالة يكون مستغلا وفاقدا لكل حقوقه.

كذلك يسرد لنا بن نبي عن بدايات ظهور العمل عند المسلمين حيث يقول :((**فعندما كان المسلمون الأول يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة الإسلامية كان هذا اول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الاسلامية**))[1]، وعلى هذا الأساس فان ((**توجيه العمل هو سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد فجهد الراعي وصاحب الحرفة والتاجر والطالب والعالم والمرأة والمثقف يجب أن يوضع في بناء واحد، فتعليم الأطفال عمل: وإزالة الأذى عن الطريق عمل وغرس شجرة عمل**))[2] وعليه فتوجيه العمل هو تأليف كل الجهود لتغيير وضع الإنسان، وخلق بيئته الجديدة التي تعطي للعمل معناه الآخر المتعلق بكسب العيش لكل فرد وهذا التوجيه حين يتحد مع توجيه الثقافة وتوجيه رأس المال يفتح مجالات جديدة للعمل.

3- توجيه رأس المال: يرى بن بني ((**إن توجيه رأس المال هو لا يزال في طور التكويني في بلادنا، لا يتصل أو لا بالكم، بل بالكيف، فان همنا الأول أن تصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة تخلق معها العمل والنشاط، أم الكم فان ذلك الدور الثاني: دور التوسع والشمول**))[3]، فالقضية عند بن بني ليست في تكديس الثروة، ولكن في توجيه أموال الأمة وتنشيطها وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل في البلاد، وفي هذا الاتجاه ينبغي توجيه رأس المال وفق منهاج يسمح ببناء حياة اقتصادية لا مكان فيها لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة، بل يجب أن يتوفر فيه إسهام الشعب: لتفادي ما وقعت فيه أوربا جراء تحرير

1-محمد العبدة: مالك بن بني مفكر اجتماعي وائد املاحي، المرجع السابق، ص122.

2-المرجع نفسه: ص122.

3-مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 112.

الإنتاج والتجارة: بحيث أدت تلك الحرية إلى الوقوع في اضطرابات اجتماعية نتجت عنها اضطهاد طبقة لأخرى وهنا يشدد بن نبي على أهمية تسيير الموال وتوجيهها وفق منهج ديمقراطي يتجاوز الطابع الإقطاعي من خلال الحرص على مساهمة الشعب مهما كان فقيرا وبذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع وتنسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد **((وبهذا التوجيه الذي يسير متضافرا مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل، يكون الفرد قد استكمل الشروط اللازمة لتشيد حضارة تطابق إطاره الخاص))**[1].

المطلب الثاني: تحقيق الديناميكا الاقتصادية

تشير الديناميكا الاقتصادية إلى حركة التفاعل بين الإنتاج والاستهلاك الناتجة، من عملية التوزيع التي بدورها تتحدد طبقا لطبيعة الحاجة ومصدر تلبيتها وهنا تنقسم الحاجة حسب مالك بن بني إلى نوعين **((الحاجة التي يغطيها مال، والحاجة التي تغطيها إرادة حضارية، مثل الإرادة التي فرضت الزكاة للفقير وللمسكين وابن السبيل الذين ليس لهم مال يغطون به حاجاتهم اليومية))**[2]، ومن ثم فان كيفية توفير الحاجة هي التي تحدد نوعية المنهج الاقتصادي المتبع وطبيعة شبكة التوزيع وفي هذا الصدد يقول بن بني: **((ويتقرر على أساس كيفية تلبية الحاجة كل أسلوب الاقتصاد: أما طبقا لطبيعة المال الذي يقتضي نظاما خاصة بتوزيع محدود يحده الإمكان المالي: أو طبقا لإرادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل السكان كلهم منذ اللحظة الأولى))**[3]

ومن هذا المنطلق حدد بن بني شروط الديناميكا الاقتصادية للحاجة التي يتم تغطيتها وفق إرادة حضارية في مسلمتين هما **((يجب القوت لكل فم يجب العمل لكل ساعد وعليه فالقضية ليست بالنسبة للبلد الواحد في تشغيل جزء من السواعد بل ينبغي**

1- مالك بن نبي : شروط النهضة، المصدر السابق، ص113.

2- المصدر السابق، ص 79.

3 -مالك بن نبي :المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق ص 79.

تشغيل السواعد كلها التي تمثل الرصيد الحقيقي للوطن بأجمعه في لحظة الصفر من إقلاعه: وبهذا الثمن فقط نستطيع دفع عجلة التنمية في الوطن))[1]، فعلى هذا الأساس يرى بن بني أن إمكانية توفير متطلبات العيش لكل فرد في المجتمع لا يتوقف على وجود المال من عدمه، كسبب غالبا ما يتم التحجج به في العجز، يقدر ما يتصل بوجود إرادة حضارية تدرك العلاقة بين المسلمين "لقمة العيش لكل فهم والعمل واجب على كل ساعد" كمدخل لتوفير الحاجة، فإقرار مبدأ لقمة العيش لكل فم، لا يرجع لمجرد غاية أخلاقية فحسب، بل بوصفه عاملا فنيا وأخلاقيا في الآن معا، حيث من شأنه المساهمة في خلق المناخ الاجتماعي المناسب الذي تنمو فيه كل الطاقات في عمل مشترك يصبح بمثابة الأداة التربوية التي تغير الأوضاع النفسية للفرد.

إن المعارك الاقتصادية الحقيقية حسبه إنما تدور حول القيم الأخلاقية والثقافية: والمجتمع الإسلامي ((**أجدر من غيره في إعادة للاقتصاد أخلاقيته، ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء))**[2]، وهذا لن يحصل إلا بوجود إرادة حضارية تخلص هذا العالم من التخلف وحينها سيكتشف أن اختياره ليس متوقفا على قدوة اقتصادية من قبيل الرأسمالية أو الاشتراكية، وإنما يستطيع بواسطة الاستثمار الاجتماعي للإيجاد طريقه الخاص به وفق روح إسلامية ((**تعيد للمال إلى وظيفته بوصفه خادما مطيعا للمجتمع لا سيدا له ويرفع عن الإنسان الأسر الذي قيدته به المادية الماركسية التي أقحمته في عالم الاقتصاد مجرد آلة للإنتاج))**[3].

1-مالك بن بني: الرشاد والتيه، المصدر السابق، ص186.

2 -المصدر نفسه، ص 83

3-المصدر نفسه، ص 84.

المبحث الثاني: أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي

المطلب الأول: أولية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي: يرى بن بني أن الاستثمار الاجتماعي كوسيلة للتنمية بالنسبة للبلدان الإسلامية غير ممكن في ظل سيطرة القارة الشمالية على ثروات القارة الجنوبية، بحيث ورطتها في تصدير المشاريع الجاهزة: مقابل السيطرة على المواد الأولية.

فالقضية إذن بالنسبة للبلدان الإسلامية ليست قضية إمكان مالي وإنما قضية تعبئة للطاقات الاجتماعية تحركها إرادة حضارية: فبن بني توصل إلى أن الإمكان الاجتماعي هو الذي يحدد مصير الشعوب والدول، كما لاحظ أن التنمية في هذه الدول تعثرت لأنها رسمت خططها على أساس الاستثمار المالي بينما تقدمت ((**الصين بسرعة مرموقة لأنها طبقت منذ اللحظة الأولى في مخطط تنميتها مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصاد بمبدأ الاستثمار الاجتماعي من الأسنان الصيني والتراث، والزمن المتوفر في كل أرض**))[1]، فالصين عوضت الإمكان المالي بالإمكان الاجتماعي ما أهلها لتصبح تجربة فريدة في مجال توظيف الإنسان والتراب والوقت، كما يمكن أن نستفيد من هذه التجربة درسا تربويا لأن الإنسان الذي يمارس العمل المشترك سيزيل من ذهنيته معنى المستحيل، ويتجاوز كل المسلمات التي تجعل عمله مشروطا بعوامل غير طبيعية.

ومن هنا فإن مسألة التنمية في العالم الإسلامي في حاجة إلى رؤية وخطة تفجر في الإنسان كل أبعاده النفسية وتمكنه من إزالة كل الخرافات والمسلمات الوهمية، التي جعلت من المسلم فردا عاجزا في عالم الاقتصاد: فأي نهضة اقتصادية ينبغي ((**أن تتضمن هذا الجانب التربوي الذي يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى: بوصفه**

1 –مرزوقي بدر الدين: الأسس الحضارية للطاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن بني، المرجع السابق، ص 668.

وسيلة تحقق بها خطة التنمية: ونقطة تلاقي تلتقي عنده هياكل الخطوط الرئيسية في البرامج المعروضة للانجاز))[1].

المطلب الثاني: أولوية الإنتاج على الاستهلاك

يرى بن بني أنه يوجد ارتباط وثيق بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية: وهذا ما أهملته الرأسمالية في رؤيتها الإباحية للاقتصاد: وبتالي فهو ينظر إلى العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك على أنها علاقة اقتصادية أخلاقية تعكس العلاقة بين مفهومين الواجب والحق في الميدان السياسي والثقافي لكل مجتمع ((**فلو اصطلحنا على المدلول العام للمفهومين أن الواجب هو ما نعطيه مثلا للمجتمع وأن الحق هو ما نأخذه، وأنهما يمثلان على محور القيم الجبرية قيمتين مختلفتين العلاقة على طرفي الصفر، لو اصطلحنا على ذلك لجاءت صياغة العلاقة بينهما في صورة متراجحة هكذا: واجب +حق= صفر فإذا نقلناها إلى مجال الاقتصادي لتضم العلاقة الجبرية هاتين القيمتين الاقتصادية في صورة متراجحة ذات احتمالات ثلاثة كأي معادلة متراجحة إنتاج + استهلاك= صفر))**[2]، وتبعا للعلاقة بين الحق والواجب كمبدأين أخلاقيين يمكن الحصول على العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك، وينتج عنها الحصول على ثلاثة أنماط من المجتمعات: ((**ففي الحالة الأولى يستطيع المجتمع استثمار فائض إنتاجه العمليات والميزانيات المقبلة فهو مجتمع نام، وفي الحالة الثانية فان كفتي ميزانه متعادلتان فلا ترجع واحدة على الأخرى، فهو لا يصعد ولا يهبط، فهو مجتمع راكد، أما في الحلة الثالثة فكفة استهلاكه أرجح لا يصعد ولا يستقر، فهو مجتمع ينهار))**[3] .

1–مالك بن نبي :المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص77.

2 –المصدر نفسه، ص87.

3 –المصدر نفسه، ص88.

وفي هذا الصدد يستند بن بني على الأبعاد الأخلاقية لقصة الرسول (ﷺ) مع الفقير ((**الذي أتى يسأل يوما لقمة العيش، كان من "حقه" أن يأخذها من المجتمع، بنص من القرآن الكريم في الزكاة: لكن أعمال النبي (ﷺ) تشريع أو عبرة لأمته، فأشار الرسول على من حوله من الصحابة رضوان الله عليهم بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب، وأشار على الرجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده**))[1].

وعلى هذا الأساس يؤكد بن بني على أهمية تفوق الواجب على الحق في نمو المجتمع: فالنظر إلى هذه القصة يبرز أن الرسول فضل حل مشكلة هذا الفقير في نطاق الواجب لا في نطاق الحق، وبلغة الاقتصاد فضل أن يحلها في نطاق الإنتاج لا في نطاق الاستهلاك وهذا ما يظهر في معظم مواقف النبي سواء في ميدان الخلاق أو الاقتصاد، وبالتالي فان العالم الإسلامي في حاجة إلى تحويل التركيز من الحق إلى الواجب إذا ما أراد الخروج من مشكلة التخلف.

1- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق،ص87.

المبحث الثالث: الحركة الاقتصادية على الصعيد الخارجي

المطلب الأول: الفكرة الإفريقية الأسيوية

يشير مالك من خلال هذا العنصر إلى ضرورة التفكير من قبل المهتمين بمسألة النهوض الاقتصادي في العالم الإسلامي بالضرورات الخارجية كعنصر أساسي في تحقيق الضرورات الداخلية، وذلك لمواجهة مقتضيات التطورات الاقتصادية العالمية التي تشهد عملية انتقال الظاهرة الاستعمارية من السيطرة العسكرية التقليدية إلى السيطرة عن طريق آليات أخرى كالاقتصاد وهذا ما يظهر في صورة ((**توجيه السوق الأوروبية المشتركة الذي في الظاهر من أجل الصمود في وجه الاقتصاد الأمريكي والياباني والصيني وفي الواقع من أجل الزحف الاقتصادي على مناطق الحضور الأوروبي، لترسى فيها دعائم وجود أوروبي جديد**))[1]، ومن هذا المنطلق ينبغي أن تدرك البلدان الإسلامية والنامية أهمية إنشاء اقتصاد تكاملي يساعد على تكامل الممكنات الاقتصادية للدول الإسلامية وتحقيق الاكتفاء الذاتي لتجنب الضغط الخارجي، ولعل الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ* هو كتاب ألفه بن نبي لمحالة إلصاق ودمج القارة الإفريقية مع القارة الأسيوية في كتلة واحدة، ويعد مؤتمر باندوغ تظاهرة سياسية يحسب لها الغرب ويخشاها، وإن لم تكن موجهة ضده بشكل مباشر.

ولقد طرحت الكثير من المشكلات في هذا المؤتمر ومن بينها مشكلة الثقافة، فالثقافة في مهمتها التاريخية تقوم بالنسبة للحضارة بوظيفة الدم بالنسبة للكائن الحي، هل هناك ثقافة مشتركة بين الأمم المختلفة؟ ((**وعليه فإن الثقافة الأفروسيوية لا يمكنها لأسباب مختلفة أن تجد إلهامها الجوهري في مجرد نزعة المعاداة للاستعمار التي**

1 – مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، المصدر السابق، ص98.

* – باندوغ مدينة في أندونيسيا.

تختفي باختفاء سببها وهو الاستعمار، فيجب أن تبحث عن روحها الأخلاقي في مجموع من القيم الروحية والتاريخية التي تقرها الشعوب الأفرسيوية كنوع من التراث... وستجد الفكرة الأفروسيوية في فكرة عدم العنف: وذلك المبدأ الذي نعرف دوره المنقذ في تحرير الهند ولا يمكننا أن نضم هذه الملحمة إلى الفكرة الأفروسيوية دون أن ندخل فيها في الوقت بطلها الأسطوري: غاندي*))[1]، ومن هذا المنطلق يرى بن نبي أن النزعة المعادية للاستعمار والمتمثلة في الثقافة الأفروسيوية لا يجب أن تكون مبدأ فكريا مشتركا اذ يجب أن الشعوب الأفروسيوية تكون أن تجد في القيم الروحية والتاريخية التي هي من نوع من التراث في مبدأ أخلاقي يجمع بين الإسلام والهندوسية في فكرة عدم العنف، لكن البحث عن ثقافة مشتركة بين دول الأفروسيوية فيها شيء من التكلف وذلك لأن الهندوسية كثيرا: هي التي تمتلك الآن الأسلحة النووية وتتعاون مع إسرائيل، أما موضوع اللاعنف: فإذا كانت الهند تتبناه فلم لا تعطي حق تقرير المصير لشعب كشمير المسلم)[2] وعليه فإن مؤتمر باندوغ ومن خلال ما تقرر فيه من مبادئ فنجد(**التعاون الاقتصادي والثقافي والتعاون في الدفاع عن الحقوق الإنسانية وعن حق الشعوب في تقرير مصيرها ،وفي الجهد المشترك لحل مشكلة الشعوب المتخلفة، وفي السعي من أجل السلام والتعاون الدولي، هذه المبادئ تكون في مجموعها منوالا يستطيع التاريخ أن ينسج عليه ثوبه الوقور... كذلك فلقد غرس الفكرة الأفروسيوية التي ربما غيرت وجه الإنسان الذي يعيش بين طنجة وجاكرت، وغرس في شكل مبدأ الحياد ونواة لنفسية جديدة للسلام)** ،[3]

---

*- **غاندي مهانداس كرمشند** (1868-1948م): زعيم سياسي وروحي هندي لقب بـ(المهاتما)، أي النفس الكبيرة، نادى باللاعنف، وبالمقاومة السياسية وعمل على تحرير الهند من الاستعمار البريطاني(أنظر: محمد اللحام وآخرون : القاموس (عربي /عربي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص 1024).

1-فمالك بن نبي: الفكرة الأفريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، المصدر السابق ،ص150.

2 -محمد العبدة :مالك بن نبي، مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، المرجع السابق ص138.

3 -مالك بن نبي : الفكرة الإفريقية الاسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، المصدر السابق، ص106-107.

وعليه فإن أقصى ما يستطيعه مؤتمر باندونغ هو أن يكون سياسيا ويتبنى مبدأ الحياد بين معسكرين متنافسين، أي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عندما وصلا إلى القنبلة الذرية حيث وجد نفسيهما أنهما في حاجة إلى السلام والتعايش وخاصة أن محور (واشنطن–موسكو) شعر بالسقوط الروحي فالتعايش ضرورة للخروج من الأزمة.

وعليه فقد كتب مالك هذا الكتاب وخرج أكثر بالعالم الإسلامي من قبضة الاستعمار القديم، والحرب الباردة القائمة بين المعسكرين، وفكرة الحياد الإيجابي مما يشجع لها الإنسان الذي عاش تحت قهر الاستعمار.

((كذلك دعا العالم الجزائري الشيخ الإبراهيمي* إلى تكتل إسلامي(إفريقي–أسيوي) على أساس ديني بالدرجة الأولى، بينما دعا مالك إلى تكتل إسلامي(إفريقي–أسيوي) على أساس المصالح السياسية والاقتصادية، وحاول إيجاد شيء من الثقافة المشتركة ثم تراجع فيما بعد وكتب عن "كومنولث إسلامي "))[1]، إذا فمحاولة إنشاء اقتصاد أفرو أسيوي موحد ذو طرح صحيح وواقعي، لأن هذا الأصل أمام التكتلات الكبرى العالمية لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار الفكرة الدينية كما فعل البشير الإبراهيمي.

* **البشير الإبراهيمي:** ولد بقرية راس الواد بناحية مدينة سطيف بالجزائر 14يونيو 1889، وتوفي 20 ماي 1965(أنظر : أحمد طالب الابراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997، ص9)

1 – محمد العبدة : مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، المرجع السابق، ص 140.

المطلب الثاني: فكرة الكمنويلث* الإسلامي

لقد كان بن نبي متحمسا لفكرة الأفروسيوية ولمؤتمر باندونغ عام (1955)، ولكنه عاد ليقول عام 1958:((**ولكن تجربة شخصية أثناء مؤتمر التضامن (الأفرو-سيوي) بالقاهرة سنة (1957-1958) دلتني بوضوح على عدم الجدوى لكل محاولة توحيد اقتصادي داخل أي تجمع ليست عناصره منسجمة ،وأي محاولة لتشييد وحدة لا تجدي شيئا إن لم تكن عناصر هذه الوحدة مرتبطة مسبقا بروابط صهرها التاريخ إن وحدة الحضارة والثقافة تستطيع وحدها خلق هذه الروابط**))[1]، ومن هذا المنطلق يؤكد نبي على صعوبة إقامة اقتصاد موحد بين القارة الإفريقية والأسيوية وذلك على اعتبار غياب الانسجام بين القارتين ويظهر ذلك في الاختلاف الثقافي والاجتماعي ولعل هذا ما دفع العالم الجزائري الشيخ البشير الإبراهيمي عندما دعا إلى تكتل إسلامي إفريقي أسيوي على أساس ديني بالدرجة الأولى في حين نجد بن نبي دعا إلى تكتل إسلامي(**إفريقي-أسيوي**) على أساس المصالح السياسية والاقتصادية.

وعليه فمن الواضح أن بن نبي أصبح مقتنعا بفكرة التعاون بين الشعوب الإسلامية، وهذا التضامن يمكن أن يتخذ أي شكل من أشكال التوحيد ولو عن طريقة اقتباس فكرة الكومنولث البريطاني على اعتبار أن هذه الفكرة مستوردة من الغرب لكن بن نبي اراد من خلالها ان يجمع شمل دول الافرو آسيوي، فمن خلال اقتباس هذه الفكرة من

---

*- **الكمنويلث:** ظهر مصطلح "الكومنولث"(بالإنجليزية: Commonwealth) في القرن الخامس عشر. وهي كلمة أصلها بمعني الثروة المشتركة (بالإنجليزية: Common-wealth) أو الرخاء الجماعي (بالإنجليزية: The common weal) من المعني القديم لكلمة ثروة (بالإنجليزية: Wealth) التي تعني السعادة أو الرخاء (بالإنجليزية: well-being). ويعني المصطلح حرفياً الرخاء الجماعي. ولذلك فإن مصطلح الكمنولث يُطلق على دولة أو دولة يحكمها الشعب من أجل الشعب على عكس الدولة السلطوية التي تحكم من أجل طبقة معينة من الملاك. ولكن في الوقت الحاضر فالمصطلح أكثر عمومية ويعني تجمع سياسي (من أكثر من دولة)

أنظر الموقع : https://www.globalsecurity.org، تاريخ الزيارة : 2019/13/6، على الساعة : 10: 10

1 -محمد عبده: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص141.

طرف بن نبي يتضح لنا ذلك التفكير البراغماتي الخاص به في إقامة حلول أكثر واقعية ومن هنا ظهر من يسخر من هذه الفكرة واعتبارها من اليوتوبيا والتمسك والتبعية للحضارة الغربية ومن هنا ((**فإذا كان النمط البريطاني يتجسد في الالتفاف حول شخص (ملكة أو ملك بريطاني) أو حول التاج البريطاني، فإن الكومنولث الإسلامي يتمثل في الالتفاف حول الإسلام وليس من الضروري أن يكون هذا الاتحاد نظاما سياسيا واحدا أو اقتصادا واحدا، المهم أن تجمع لهم حضارة واحدة، وإن طرح هذا الموضوع لا يعني وجود حل جاهز، وهذا يحتاج إلى مراكز بحوث لم توجد بعد في العالم الإسلامي**))[1] وعلى هذا الأساس أراد بن نبي انتهاز الفرصة والمتمثلة في إدخال فكرة الكومنولث في محيطنا الثقافي وذلك من خلال "**الوجهة الاقتصادية بالخصوص يمنحنا المثال البريطاني عناصر بالغة الإفادة فيما يتعلق بتصميم أولي للمثال الإسلامي**"[2]

وعليه فإن طرح هذه الفكرة وخصوصا داخل الفضاء الاقتصادي الإسلامي سوف يكون هناك نوع من الوعي والتكامل الاقتصادي بين البلدان الإسلامية ولكي يتم تجاوز مشكلة تسويق المواد الأولية للقارة الشمالية يجب أن يكون هناك نوع من التكامل بين القارة الجنوبية، والعمل على إيجاد سبيل لبناء كتلة المادة الأولية لمحاولة تخليصها من سلطة العملة من طرف السوق العالمية ،والعمل على تنسيق المواقف في المجال السياسي حتى لا تؤثر السياسة على الاقتصاد الموحد .

1 –محمد العبده: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص142.

2– مالك بن نبي، فكرة الكومنولث إسلامي، المصدر السابق، ص77.

وكحوصلة عما ورد في الفصل الثالث نقول أن بن نبي يحدد بدقة آليات وعناصر الإقلاع الاقتصادي وذلك بربطها بعوامل غير اقتصادية وتتمثل في ضرورة توجيه الإنسان في المجال الثقافي والعمل ورأس المال، كذلك حدد بن نبي شروط الديناميكا الاقتصادية للحاجة التي يتم تغطيتها وفق إرادة حضارية في مسلمتين هم لقمة العيش لكل فم والعمل واجب على كل ساعد، وهذا يعني أن إمكانية توفير متطلبات العيش لكل فرد في المجتمع لا يتوقف على وجود المال كذلك حدد أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي إذ يرى بضرورة الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي وتأكيد على دور المبادئ الأخلاقية في تحديد اتجاه الحضارة وذلك يظهر في أولوية الإنتاج على الاستهلاك، أم فيها يخص حركة الاقتصاد على الصعيد الخارجي، فيرى بضرورة التفكير من قبل المهتمين بالنهوض الاقتصادي في العالم الإسلامي وذلك بضرورات الخارجية ويتكلم بن نبي في هذا الصدد على فكرة الاقتصاد الموحد وبناء التعاون والتكامل الاقتصادي بين البلدان الإسلامية ويظهر ذلك في فكرة الأفريقية الأسيوية وفكرة الكومنولث الإسلامي.

خاتمة

من خلال تطرقي لهذا الموضوع توصلت إلى جملة من النتائج، من أهمها:

يمكن القول أن مالك بن نبي حاول طرح رؤية جديدة في عالم الاقتصاد من شانها تمكين الفكر الإسلامي من البحث عن مخارج ومنظورات جديدة تتوافق مع اللحظة التاريخية والقيم الثقافية والأخلاقية للمجتمعات المسلمة النامية بحيث تتجاوز محدودية الاختيار بين النموذج الرأسمالي والنموذج الاشتراكي، وكأنه لا يوجد بدائل تنموية أخرى رغم ما يطرحه هذان النموذجان من إشكاليات على الصعيد الأخلاقي والإنساني في السياق الإسلامي.

– ينطلق مالك بن نبي في موضوع الاقتصاد من مفهوم الحضارة كمفهوم تحليلي قاعدي: حيث ربط النهضة الاقتصادية بوجود ارادة حضارية .

– أراد مالك بن نبي أن يقدم رؤية جديد للتنمية في العالم الإسلامي تتجاوز التحليل الاقتصادي البحت لمشكلات التخلف و يرى بضرورة الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات النفسية والثقافية أي جعل الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى وفق معادلة حضارية تأطرها الفكرة الدينية وما تتضمنه.

– يدعوا مالك بن نبي بضرورة اقامة اقتصاد موحد وبناء تعاون اقتصادي بين البلدان الاسلامية، ويظهر ذلك في الفكرة الافريقية الاسيوية، وفكرة كمنويلث اسلامي.

– يعترف مالك بن نبي في خاتمة كتابه المسلم في عالم الإقتصاد أن الافكار التي طرحها قد تكون صعبة التمثل والإدراك من الناحية التطبيقية، إلا انه يمكن اعتبارها على أنها محاولة لفك قيود وضعتها أفكار أجنبية على اجتهادنا في معضلات الإقتصاد

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

-السنة النبوية

أولاً-المصادر والمراجع :

1- مالك بن نبي : تأملات، تر: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1979.

مالك بن نبي : فكرة كمنويلث إسلامي: تر : الطيب الشريف، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1960

مالك بن نبي : في مهب المعركة، تر: عمر كامل مسقاوي: دار الفكر، دمشق (سوريا): ط1، 1981.

مالك بن نبي: القضايا الكبرى، تر: عمر مسقاوي : دار الفكر، دمشق(سوريا) : ط1، 1991.

2- مالك بن نبي: المسلم في عالم الإقتصاد، تر: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط3، 1987م.

3- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي: تر: أحمد شعبو، دار الفكر : دمشق : (سوريا)، ط1، 1988.

4- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين : دار الفكر : دمشق (سوريا)، ط04، 1984

5- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كامل المسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1986م.

6- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط1، 1959.

ثانيا: المراجع:

1-ابراهيم كبّة: دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج01، مطبعة الارشاد، بغداد، ط1، 1970.

2-أحمد صبحي، أحمد العبادي: الأمن الغذائي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط1، 1999.

3-أحمد طالب الابراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997.

4-آدم سميث: بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم، تر: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط10، 2007.

5-أرسطو: السياسات، تر: الأب أوغسطين بربارة البوليسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، (دط)، 1957.

6-أوسكار لانكه، مايكل كلتيسكي: الاقتصاد السياسي، تر: محمد سلمان حسن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980م.

7-بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د ط 2005.

8-جاسم سلطان: خطوتك الأولى نحو فهم الاقتصاد، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، (دب)، ط2، 2010.

9-جون كينيث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، تر: أحمد فؤاد بلبع، تحقيق اسماعيل صبري عبد الله، عالم المعرفة، الكويت، (د ط).

10- حازم الببلاوي، دليل الرجل العادي إلى تاريخ الفكر الاقتصادي، دار الشروق، القاهرة(مصر)، ط1، 1995م.

11- سعيد سعد مرطان: مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط2، 2004.

12- صحيح المسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، 1227.

13- صلاح الدين نامق: قادة الفكر الاقتصادي، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت).

14- طارق الحاج، علم الاقتصاد ونظرياته، دار الصفاء، الاردن، (د ط)، 1998.

15- الطاهر سعود: التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهدى : بيروت، ط1.

16- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، ط1، 2005.

17- عمر كامل مسقاوي: في صحبة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا: د ط، 2013.

18- قاأنا ستيف: أسس الفلسفة الماركسية، تر: عبد الرزاق الصافي، دار الفارابي، بيروت ،ط4، 1984.

19- كارل ماركس:العمل المأجور ورأس المال، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو(روسيا)، (دط)، 1991.

20- ماركس وانجلز: بيان الحزب الشيوعي، تر: إلياس شهين، دار التقدم، موسكو(روسيا)، (دط)، (دت).

21- محمد العبدة: مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، دمشق (سوريا)، ط1، 2006.

22- محمد عاشور: رواد الاقتصاد العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1998.

23- المعز بن عبد السلام: قواعد الاحكام في مصالح الانام، تحقيق طه عبد الرؤوف،ج2، دار الجيل، بيروت(لبنان)، ط2، 1980.

24- نورة خالد السعد: التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية لنشر والتوزيع، الرياض دط،1997.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم:

1- إبراهيم مدكور: المعجم الوجيز، مجمّع اللغة العربية، (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم)، مصر، د.ط، 1994.

2-محمد اللحام وآخرون : القاموس (عربي /عربي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.

3- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، مج 6،دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1981.

4- اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، مج 1،منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.

5- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت(لبنان)، دط، 1982، ص 109.

6- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

7- صالح علي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد: المعجم الصافي في اللغة العربية، غزة، محرم الحرام، المملكة العربية السعودية، الرياض.

8- فيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت(لبنان)، ط 8،

رابعاً: المجلات والدوريات والجرائد

1- لامية بوبيدي، كريمة مقاوسي: الرؤية الاصلاحية في فكر مالك بن نبي: مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ع19، 2016، الجزائر.

2- المرزوقي بدر الدين، الأسس الحضارية للظاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي، قراءة نقدية في بعض المفاهيم الحديثة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 29، 2016، الجزائر.

خامساً: المواقع الالكترونية:

1-https://www.globalsecurity.org.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي والعربي الاسلامي	07–27
المبحث الأول: مفهوم الاقتصاد لغة واصطلاحاً.....	07
المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد لغة.....	07
المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد اصطلاحاً.....	09
المبحث الثاني: مفهوم الاقتصاد في الفكر الغربي(أرسطو، آدم سميث، كارل ماركس).....	11
المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد عند أرسطو.....	11
المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد عند آدم سميث.....	14
المطلب الثالث: مفهوم الاقتصاد عند كارل ماركس.....	20
المبحث الثالث: مفهوم الاقتصاد في الفكر العربي الإسلامي (ابن خلدون، مالك بن نبي).....	24
المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد عند ابن خلدون.....	24
المطلب الثاني: مفهوم الاقتصاد عند مالك بن نبي.....	27
الفصل الثاني : الواقع الاقتصادي للعالم الاسلامي ومشكلة التخلف في فكر مالك بن نبي	33–49
المبحث الأول: الواقع الاقتصادي للعالم الاسلامي ومشكل اختيار النموذج التنموي	33
المطلب الأول: واقع اقتصاد العالم الاسلامي.....	33
المطلب الثاني: مشكلة اختيار النموذج التنموي (الماركسي، الرأسمالي) ...	36
المبحث الثاني : الجوانب النفسية لتخلف الاقتصادي.....	41

المطلب الأول: غياب الفعالية.....	41
المطلب الثاني : الميل إلى التكديس	43
المطلب الثالث: القابلية للاستعمار.....	45
المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية للتخلف الاقتصادي.....	47
المطلب الأول: تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية.....	47
المطلب الثاني : طغيان عالم الأشخاص.....	48
المطلب الثالث: طغيان عالم الأفكار.....	49
الفصل الثالث : عناصر الإقلاع الاقتصادي وأولويات الحركة التنموية عند مالك بن نبي.....	66-54
المبحث الاول: عناصر الاقلاع الاقتصادي عند مالك بن نبي.....	54
المطلب الأول: توجيه المجتمع.....	54
المطلب الثاني: تحقيق الديناميكا الاقتصادية.....	58
المبحث الثاني: أولويات الحركة الاقتصادية على الصعيد الداخلي.....	60
المطلب الأول: أولوية الاستثمار الاجتماعي على الاستثمار المالي	60
المطلب الثاني: أولوية الإنتاج على الاستهلاك.....	61
المبحث الثالث: الحركة الاقتصادية على الصعيد الخارجي.....	63
المطلب الأول: الفكرة الإفريقية الأسيوية.....	63
المطلب الثاني: فكرة الكمنويلث الإسلامي.....	66
الخاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس الموضوعات.....	78

تم بحمد الله